روايات عبير الجديدة

آن هامسون

لم يفت الأوان بعد

www.elromancia.com

مرمورية

لم يفت الأوان بعد!

آن هابسون

لا تزال لورنا تحت تأثير الصدمة: بالأمس فقط اعلن خطيبها انفصاله عنها، وهو اليوم يعرض عليها عملاً في اسكتلندا لتكون الممرضة الخاصة لسيدة عجوز واسعة الثراء.

للأسف، استقبلها حفيدها كريغ بحذر؟ ايشك بأنها جاءت سعياً وراء ارث جدته؟.

لماذا يتلاعب بها القدر ويرميها من يد لأخرى؟ شاء القدر ايضاً ان يتدخل الحب، فهل سيصمد الحب امام الخداع.

www.elmenciya.com

- ١ -

«مابك، لورنا؟ تبدين شاحبة!» سألتها زميلتها بقلق.

«اوه، لا شيء... صداع بسيط فقط...» اجابتها الممرضة الشابة.

«هيا، بعد نصف ساعة ينتهي دوامك... انت على موعد مع جيلبرت؟» ثم عضت على شفتيها، قبل ان تضيف:

«اقصد الدكتور ميرديت، بالتأكيد... انت محظوظة جداً كونك خطيبته! انه فاتن! الجميع في هذه المستشفى يحسدونك...».

لم تجبها لورنا، واكتفت بان هزت رأسها. ثم نظرت الى ساعة يدها.

«يجب ان اقوم بجولة على مرضاي، اعذريني».

«حسنا آنسة ودروي، بما انك لا تريدين الكلام... لكنني متأكدة ان هناك شيئاً لا يسير على ما يرام منذ الصباح. انت لست على طبيعتك...».

«لا، اطمئني، انت واهمة...» وخرجت من المختبر واتجهت نحو القسم الذي تعمل فيه. ان صديقتها لم تكن مخطئة! لقد حصل شيء دمر وجودها وهدم سعادتها... قريباً، سينشر الخبر فسخ خطوبتها مع الدكتور ميردت في كل المستشفى! ومع انها سمعت القرار من فمه، الا انها لا تزال غير قادرة على التصديق. يجب عليها بأي ثمن ان تستيقظ من هذا الكابوس المرعب.

كانت قد تعرفت على جيلبرت منذ عام، عندما انتقل للعمل في نفس القسم حيث تعمل هي، وعلى الفور، تحابا ولم يعودا ينفصلان، وتوجا حبهما بخطوبة، على ان يتزوجا بعد شهرين فقط.

عادت لورنا الى المنزل، وكانت تعيش مع عمتها وزوجها منذ وفاة اهلها قبل خمسه اعوام. طوال هذه المدة، كانا يظهران لها محبة وحناناً كبيراً. كم سيشعران بالخيبة عندما يعلمان بالخبر الفظيع! فهما يحبان جيلبرت ويهنئانها دائماً على حسن اختيارها لرجل حياتها. بالتأكيد سيحاولان الاتصال بجيلبرت والاستفسار عن سبب هذا الانفصال.

كان جيلبرت قد اكتفى بان شرح لها بانه يفسخ خطوبته بها كي يتزوج فتاة اخرى يلتقيها منذ مدة، وقد وقع على الفور بحبها...

«دخلت المنزل المظلم الغارق بالسكون، ولم تحاول مقاومة الدموع التي تخنقها. وصعدت الى غرفتها دون ان تشعل النور خلعت معطفها ورمته على الكرسي قبل ان ترمي نفسها على السرير وتستسلم لآلامها.

على الاقل، عمتها وزوجها لن يتمكنا من ارهاقها بأسئلتهما، وبامكانها البكاء دون ان يزعجها احد. فهما في مساء كل يوم ثلاثاء يذهبان الى السينما مع اصدقائهما، بينما ترافق هي جيلبرت الى حفل طلاب الطب القدامى الذي يجمع الكثير من اصدقائهما بجو لطيف جداً.

تذكرت الفتاة كيف كانت تنتظر هذا الموعد بفارغ الصبر، وكيف كانت تستعد طويلاً امام المرآة، لتتأكد من انها ستنال اعجاب خطيبها الذي كان يهمس باذنها بأرق الكلمات التي لم تكن لتمل ابداً من سماعها.

«لورنا، يا عزيزتي، هذا الثوب الازرق يزيد من اشراق عيونك...» ثم كان يدس يده في شعرها الذهبي «شعرك الناعم، يا حبيبتي، اية سعادة بملامسته...» كان يهمس في اذنها وهو مغمض العينين.

للاسف، لن تسمع بعد الآن مثل هذه الاطراءات من فمه، ولن تسمح لاي رجل آخر ان يغازلها ابداً. اما جيلبرت، فانه سيحتفظ بغزله لامرأة اخرى هي ابنة الصناعي اللندني المشهور بثرائه...

كمن يعيش حلماً فظيعاً، اخذت تتخيلهما يسيران يداً بيد، يضحكان ويمرحان كأن العالم ملك لهما فقط....

فجأة، سمعت اصواتاً، ايقظتها من هذه الكوابيس

فجلست في سريرها واطرقت السمع . . . وصلتها اصوات ضعيفة من الاسفل، ففتحت الباب قليلاً وسمعت عمتها تتكلم مع جارتها وصديقتها سارة.

«لابد ان لورنا خرجت مع جيلبرت. هذا الشاب حقاً رائع! انا وزوجي ننتظر بفارغ الصبر ان نراهما متزوجين . . .».

بلعت لورنا ريقها بصعوبة، الآن، وبعد ان سمعت ذلك، سيكون من الصعب جداً الاعتراف لهما بالحقيقة . . .

«انا افهم فرحك» قالت الجارة «فانت وزوجك تشكلان ثنائياً متحداً حتى بعد سنوات الزواج الطويلة وبعد رحيل لورنا، ستتمكنان اخيراً من العودة لحياتكما السابقة، كعاشقين».

«انا وزوجي قمنا بواجبنا بتربية لورنا. خلال هذه السنوات الخمس، ضحينا بكل حميمتنا بسببها، ومن الطبيعي ان نستعيدها!».

قال زوج عمتها.

يا الهي، هل هذا كابوس آخر؟ عمتها وعمها، عائلتها الوحيدة، يتكلمان عنها هكذا، وكأنها دخيلة، غير مرغوب فيها لا، هذا كثير! الا يوجد احد قادر على ان يشعر نحوها بمشاعر صادقة؟.

اذاً هما كانا يهتمان بها فقط من قبيل الواجب . . . وكانا ينتظران اول فرصة للتخلص منها! هذا الاعتراف يصعب سماعه . . . بالتأكيد، هي كانت تعرف الصلة القوية التي

تجمع بين هذين الزوجين، وكانت تحاول جهدها الا تزعجهما، ومع ذلك يبدو انهما كانا متضايقين من وجودها.

لا يمكن للقدر ان يكون قاسياً معها لهذة الدرجة في يوم واحد، تفقد خطيبها وعائلتها، من الآن وصاعداً، لن يربطها شيء بهذه المدينة، وهي لا ترغب الآن سوى بالهرب بعيداً عن هذا المنزل وعن المستشفى. ترغب بتغير وجودها علها تتمكن من النسيان . . .

«آنسة ودروي، الدكتور ميرديت يرغب برؤيتك فوراً».

قطعت لورنا غدائها وابتسمت لزميلها وقالت بهدوء:

«قل للدكتور انني سأراه بعد نصف ساعة . . . والا فليزعج هو نفسه ويأت».

«ولكن . . .» قال زميلها بذهول.

«اعتقد انك سمعتني جيداً» اجابته بحزم ثم انهت غداءها على مهل.

ماذا يريد خطيبها السابق؟ على كل حال، هي مصممة على جعله ينتظر! من يعتبر نفسه؟ بعد لقاءهما بالأمس، لا يوجد اي شيء آخر يقال.

بعد نصف ساعة، كانت تطرق باب مكتبه.

«تريد ان تكلمني؟» سألته بجفاف.

«نعم . . . اجلسي، لورنا».

«افضل البقاء واقفة» اجابت بصوت يخون ارتباكها.

«بالنسبة لانفصالنا . . . هل كلمت احداً؟».

«لا».

«من الافضل ان لا تفعلي، ارجوك، انت تعرفين وضعي

www.elromancia.com

هنا. لا اريد ان يظن الآخرون انني...

«انك تركتني؟» قاطعته غاضبة.

«هيا يا عزيزتي، لقد سبق وشرحت لك قراري، اكتشفت متأخراً انني لم اكن احبك، اعلم الى اية درجة انت تتعذبين، ولكن كان من الافضل ان نلاحظ هذا النوع من الاخطاء قبل الزواج وليس بعده».

«امن اجل الكلام عن المي، طلبت رؤيتي؟» سألته باحتقار وهي تتساءل كيف استطاعت ان تحب رجلاً عديم الذمة والضمير مثله.

«انا افهم مخاوفك، د. ميرديت. لا تريد ان يقال عنك بانك حطمت ممرضة تعمل في قسمك، اليس كذلك؟».

«نعم وانا متأكد من تكتمك حول هذا الموضوع».

«اذاً تابع بهذه اللهجة الوقحة، لن اندم ابداً على استعادة حريتي!».

فكرت وهي تحدق به باحتقار، كانت تعتقد انها تعرفه جيداً، لكنها فجأة، وجدت نفسها امام رجل غريب.

«انت لم تزعجني فقط من اجل هذا؟ انا مشغوله جداً و...».

«سؤال آخر، لورنا. اتنوين البقاء في هذه المستشفى، بعدما حصل بيننا؟».

«الديك حل افضل؟» سألته بسخرية.

«لدي عرض جدي اقدمه لك، اتذكرين السيدة لاموند؟».

«نعم، لقد عالجتها لمدة شهر!».

«اثناء اقامتها هنا، اخبرتني اكثر من مرة الى اي درجة هي تحبك».

«نعم، انا ايضاً وجدتها لطيفة. كانت تقول لي بأنني اشبه ابنتها المتوفية».

«نعم، وبالنسبة لها، توقف الزمن منذ وفاة ابنتها هذه».

«اليس لديها اولاد غيرها؟».

«بلى، ابنة ثانية لكنها لا تراها».

«وكيف علمت انت بكل هذا؟» سألته بفضول.

«كريغ، حفيد السيدة لاموند هو احد اصدقائي، درسنا معاً منذ صغرنا في لندن حيث اقامت عائلته في الماضي... لكني لم اطلعك بعد على عرضي، او بالاحرى، على عرض السيدة العجوز...».

عقدت لورنا حاجبيها وتساءلت الى اين يريد الوصول.

«... اعتقد انك تهتمين لامرها، انا لم اكلمك بالموضوع من قبل، لانك لم تكوني حرة، ولكن الآن...؟».

«ارجوك!» قاطعته بحدة «ادخل بالموضوع مباشرة. ماذا تريد مني هذه اللايدي؟».

«اللايدي لاموند تملك في اسكتلندا قصراً كبيراً جداً واراضي شاسعة، رغم سنها، هي تدير اعمالها بنفسها. لكن صحتها في هذه الايام لم تعد تسمح لها بالقيام باعمالها كما كانت تتمنى، ولهذا تطلب ممرضة بالقرب منها، لكنها لا تريد ان تمنح هذا المنصب الا لفتاة تثق بها. وهي تحب ان تكون هذه الفتاة هي... انت!».

«هل انت مستعجل جداً لتتخلص مني؟».

«لا تكوني سخيفة! انت لا تجهلين قيمة الراتب المالي الذي ستحصلين عليه شهرياً».

«لطيف منك ان تهتم لأمري، د. دميريت» اجابته بسخرية الا ان فكرة الرحيل عن لندن والمستشفى والناس الذين كانت تحبهم، فكرة جيدة. وتذكرت كلام اللايدي لاموند عن قصرها المنعزل في الريف الاسكتلندي، وعن قصر حفيدها الذي ورثه عن جدوده. وتذكرت قول اللايدي بأنه طالما طلب منها ان تأتي لتسكن معه، لكنها كانت ترفض بسبب تعلقها باستقلاليتها، كما وان لورنا لاحظت من خلال زيارات الحفيد لجدته، انها متعلقة به، تصرفاته المتعالية المتعجرفة لم تكن تعجب لورنا. كان عندما يتكلم تتناسب لهجته مع نظراته الفوقيه للآخرين. حتى انها كانت تحس بانه يحتقرها ولا يجدها مناسبة كزوجة للطبيب اللامع دمريت.

- ٢ -

لكن زميلاتها الممرضات كن يجدن هذا الاسكتلندي ببشرته السمراء وعيونه الزرقاء الغامضة ساحراً جذاباً يليق به تعجرفة.

«انا اشفق على من ستصبح زوجته. يجب عليها ان تطيع اوامره بحذافيرها» قالت لورنا لنفسها بعد لقائها الاول معه في المستشفى.

«بماذا تفكرين، لورنا؟ انا انتظر جوابك!».

«اعادها صوت خطيبهاالسابق من تأملاتها.

«فكري بالحياة الملوكية التي ستعيشينها هناك! لن يكون لديك عمل كثير، بالاضافة الى الاجر المرتفع...».

«اذا رحلت الى اسكتلندا، ستسرع بدون شك في نشر الاكاذيب حول موضوع انفصالنا، انها مناسبة كي تتفاخر

www.elromancia.com

امام اصدقائك. . .».

«سأكتفي بأن اجعلهم يعتقدون انك بحاجة لبعض التغيير، هذا افضل لنا نحن الاثنين. . . ولكن كيف ستفسرين لعمتك وعمك سفرك؟».

«لا تقلق، سأتدبر الامر بنفسي» اجابته بسرعة كي تتجنب النقاش بموضوعهما.

«سأتصل بك لاخبرك بقراري في نهاية الاسبوع. . .».

بعد اسبوعين، كانت لورا ودروي تستقل القطار المتجه نحو اسكتلندا. وقد رافقها عمها وساعدها في حجز مكانها ومن ارنبورغ استقلت قطاراً آخراً الى الشمال.

كانت تتوقع ان ترى سائقاً بانتظارها فور وصولها الى المحطة. اخذت تبحث بين الحشود عمن يستقبلها من قبل اللايدي لاموند. لكنها فجأة، تسمرت مكانها، اللورد لاموند بنفسه يتقدم نحوها، ويحمل حقيبتها ليضعها في صندوق سيارته الفخمة البيضاء.

«هل كان سفرك مريحاً؟» سألها بلطف لكن نظراته ظلت باردة.

«نعم، شكراً»، واحست على الفور بارتعاشة هزتها بقوة. يبدو ان كريغ لاموند يحتقرها. . . هل اخفى جيلبرت شيئاً ما عنها؟ ماذا قال لصديقه الاسكتلندي كي يكرهها بهذا الشكل؟.

«امامنا ثلاث ساعات قبل ان نصل. اتمنى ان لا يكون قلبك رقيقاً، لأن الطرقات وعرة والمنعطفات صعبة. سأحاول ان اقود بتمهل. . .» قال فجأة بنفس الجفاف،

ودون ان ينظر نحوها.

«شكراً لأنك حذرتني. ولكني اعتقد ان كل شيء سيسير على ما يرام. على كل حال، ليس امامي خيار آخر، اليس كذلك؟».

ودون ان تنتظر الجواب، اضافت:

«اتقيمون حقاً في منزل معزول؟».

«لن تجدي سهولة في التأقلم مع هدوء لوشارين. . . خاصة بعد ان كنت تعيشين في لندن. . . ولكن. . . يبدو لي انك موافقة على هذا الشرط».

نظرت لورنا الى محدثها دون ان تفهم.

«ماذا تقصد؟».

«لا تتظاهري بالبراءة، انت تعرفين جيداً».

لهجته اللاذعة شلت الفتاة ففضلت الصمت، بينما اهتم كريغ بالقيادة، وبدون شك، كان ينتظر بفارغ الصبر ان يصل الى منزله ليتخلص بأسرع وقت ممكن من هذه المهمة التي اوكلته بها جدته.

فكرت وهي تراقب وجهه العابس بصفات الشعب الاسكتلندي المشهور بكبريائه والمتعلق كثيراً بجذوره. فهم غريبون، لا يرفضون ابداً فرصة للرقص والتسلية ويملكون مزاجاً حاداً بنفس الوقت. انهم شعب مضياف واجتماعي. لكنهم في اكثر الأحيان يفضلون العزلة والتمتع بجمال الريف على ضجيج المدن. هل ينطبق هذا الوصف على كريغ لاموند؟ انه بجفائه يشبه الدب الشرس.

«لم يبق امامنا سوى القليل». قال وهو يغير السرعة كي

www.elromancia.com

يسلك طريقاً ملتوية تتجه صعودا.

«اذا اضطررت لأي سبب كان، ان اعود الى لندن، فإني سأتردد كثيراً قبل ان اسلك هذه الطريق».

قالت لنفسها وهي تحبس انفاسها. احست بين هذه المناظر الطبيعية الرائعة وكأنها غادرت لندن منذ مدة طويلة... لم يكن يبدو على اللورد لاموند انه يرغب بالكلام، فقررت ان تخرجه عن صمته.

«يبدو ان الحياة هنا صعبة».

«تقصدين حياة الفلاحين؟ نعم، انها قاسية جداً»... وارتسمت ابتسامة احتقار في زاوية شفتيه.

«ولكن لا تقلقي على حياتك هنا! ستكون سهلة جداً. خاصة وان جدتي فكرت بكل شيء. ستعيشين كالملكة» اضاف بنفس الاحتقار.

احست الفتاة بالحقد من خلال نظرة الكره التي رمقها بها. يبدو انه مستعد دائماً لاذلالها، وربما لابعادها عن هذا المنصب الجديد بأسرع وقت ممكن. تذكرت على الفور كلمات جيلبرت:

«لن يكون لديك هناك عمل كثير، بالإضافة الى الأجر المرتفع... ان كلام كريغ لاموند اكد كلمات خطيبها السابق... من جديد، انتابها احساس بأن الرجلين يخفيان عنها شيئاً مهماً. لماذا تحتاج اللايدي لاموند لخدماتها، بينما يمكن استدعاء طبيبها الخاص في اية لحظة؟

«هل شرح لك صديقك جيلبرت اسباب مجيئي الى هنا؟» سألته اخيراً لعلها تفهم شيئاً.

«بالتأكيد!» اجاب باشمئزاز.

ارادت ان تسأله ماذا قال له جيلبرت، لكنه زاد من سرعة السيارة وتخطى عدة سيارات، ثم انعطف في طريق فرعي.

«لقد وصلنا». قال بسخرية.

بعد دقائق، اوقف سيارته امام قصر كبير محاط بميدان واسع، اطلق زمور سيارته، ففتح خادم الباب الكبير ودخلت السيارة في ممر مظلل بالأشجار.

احست لورنا بضيق يطبق على صدرها، يبدو انه غير مرغوب بوجودها هنا، انها تجهل كل ما يمكن ان يكون قد قاله جيلبرت لصديقه الاسكتلندي عنها. ولن تتفاجأ اذا علمت بأن جيلبرت خانها واتهمها بأنها تركته بعد ان جذبها طعم المال والوجود الذهبي الذي ستقدمه لها اللايدي لاموندا....

«صباح الخير، يا ابنتي، كم مضى على وجودك هنا؟» سألتها اللايدي لاموند ذات صباح.

«اسبوعان، سيدتي، وانا لا اقوم بأي عمل». اعترضت لورنا بأسلوب العتاب.

«اتفضلين، ان اكون مريضة؟» سألتها السيدة مبتسمة.

«لا بالتأكيد. ليس هذا ما أقصده لكنني لا احب ان اكسب المال بدون عمل».

«انا آسفة، يا صغيرتي»، اضافت اللايدي بسخرية.

«ولكني احذرك، لن اقع مريضة فقط من اجل ارضائك! طالما اني في صحة جيدة، لن يكون لديك اي عمل...

www.elromancia.com

ولكن من يدري!».

«كيف تشعرين اليوم؟».

«اشعر بأني بصحة جيدة».

كل يوم كانت لورنا تفحص قلبها ورئتيها، وتندهش بحالتها الممتازة بالنسبة لسنها المتقدم.

«نعم، صحتك جيدة سيدة لاموند».

«ممكن ان يحصل اي حادث فجأة! قبل ذهابي الى المستشفى في المرة الأخيرة كنت اظن بأنني سأعيش مئة عام... ولكن، الآن...».

«لم يتغير شيء، سيدتي، انت بأحسن حال».

ثم تململت في مقعدها وهي تتساءل كيف ستطرح بعض الأسئلة التي تشغل باها.

«قولي لي، سيدة لاموند، ما هي الأسباب الحقيقية لوجودي هنا؟».

«اكرر لك، يا صغيرتي، اخشى ان اتعرض لأزمة صحية ثانية. واكون مطمئنة جداً عندما اعلم انك بجانبي في حالة الطوارىء...».

ولكن... الدكتور يسكن قريباً من هنا. بامكانك الاتصال به على الفور...».

«انا لا احبه كثيراً»، قاطعتها بجفاف.

«كما وانه طبيب حفيدي الخاص وليس طبيبي».

تلقائياً، نظرت لورنا من النافذة حيث تظهر ابراج قصر كريغ من بين اغصان الأشجار الباسقة.

«اريدك ايضاً ان تعلمي، انني احاول ان ابقى دائماً

مستقلة عن حفيدي، هذا المنزل منفصل عن منزله تماماً كما هي منفصلة الحدائق... سأبقى حرة، مهما حصل، رغم ارادته في فرض قانونه علي!».

يا لها من امرأة قوية. فكرت لورنا وقد فاجأها العداء الموجود بين شخصين من عائلة واحدة. بدون شك، هما متشابهان جداً لدرجة استحالة التفاهم بينهما، واستحالة استسلام احدهما للآخر.

مع ذلك، لا تزال لا تفهم سبب وجودها في دوير هاوس، وترفض ان تستخدمها السيدة لاموند كبيرق على طاولة شطرنجها.

«لا مجال ابداً لأقبض راتباً عن عمل لا امارسه!».

بدا الرضى على وجه محدثتها، لكنها انزعجت من الحاح الفتاة.

«انها ردة فعل سليمة جداً، آنسة ودروي، وانا اهنئك، لو كان يمكن لحفيدي ان يسمعك...».

«وما دخله في هذه المسألة؟» قاطعتها لورنا بحدة.

«لأن رأيه بك ليس جيداً، لابد انك لاحظت ذلك».

وكيف يمكنها الانكار؟.

«ولكن، على كل حال، هذه اشياء تخصني انا، ولا تعنيه. اما انت، آنسة ودروي، اذا كان وضعك يزعجك لهذه الدرجة، بامكاني استخدامك كوصيفة، بالإضافة لكونك ممرضتي الخاصة. ستقدمين لي خدمات صغيرة عدة... في الماضي كنت مغرمة بالقراءة. للأسف، الآن، ضعف نظري. ستقرأين لي بعض الكتب

www.elromancia.com

وتجالسينني اثناء الغداء مثلا . . . ايرضيك هذا؟».

«حتى الآن لم تكشفي لي عن سبب وجودي الحقيقي هنا . . . الا يمكنك طلب ذلك من خدامك الكثيرين؟».

«آنسة ودروي، ليس من عادتي ان ارى احد مستخدمي يناقشني اوامري». قالت لها بحدة وغضب، لكنها سرعان ما تمالكت نفسها وأضافت بلطف:

«وافقي، لورنا، ارجوك. اترغبين بالبدء على الفور؟ بامكاننا ان نبدأ بقراءة الصحيفة مثلاً . . .).

«حسناً» وافقت الفتاة وتناولت الصحيفة.

- ٣ -

فرغم انزعاجها من وضعها هنا، الا انها لم يكن بامكانها ان ترفض هذا العمل، ماذا تعرف ان تعمل غير ذلك؟ لا يمكنها ايضاً العودة الى لندن، فهذه آخر مدينة تتمنى رؤيتها!.

بعد ربع ساعة من القراءة رفعت لورنا عينيها، فوجدت السيدة لاموند نائمة، تحني رأسها جانباً، ويداها على صدرها.

نهضت الفتاة بهدوء، وخرجت من الغرفة على رؤوس اصابعها بحثاً عن كاتي خادمة السيدة لاموند الشخصية.

«اذا كانت نائمة، يجب عدم ايقاظها!» قالت كاتي مرعوبة . .

«عندما يزعجها احد اثناء قيلولتها، يتعكر مزاجها طوال

www.elromancia.com

بقية النهار!».

«قد تتمكنين من دس وسادة تحت رأسها، لقد نامت بوضع غير مريح...».

«ضعيها انت اذا اردت، آنسة ودروي. اما انا فأخشى غضبها. اذا استيقظت...».

«ولكنها قد تصاب بتشنج اذا بقيت هكذا!».

«انت تمزحين آنسة. السيدة لاموند صلبة كالصخر».

اتبعت لورنا نصيحة كاتي وقررت ان تقوم بنزهة في الحديقة. للحظة، قفزت افكارها نحو لندن....

تراءت لها المستشفى وجيلبرت وعمتها وعمها... يجب ان تكتب لهم، وكأن شيئاً لم يكن...

لا يمكنها ان تنسى كرمهما معها، حتى بعدما سمعته. وستزورهما من وقت لآخر، لكنها لن تمكث طويلاً عندهما.

كانا يبدوان سعيدين برؤيتها ترحل... لابد انهما استعادا حريتهما الآن، بينما هي تشعر بوحدة قاتلة... يجب ان تنسى الماضي وتحصر تفكيرها بالحاضر وتتمتع بهذا النهار الجميل... توقفت للحظة تراقب قصر لوشارين، انه يشمخ على تلة صغيرة وسط اشجار كثيفة.

كانت قد زارته مرة واحدة مع السيدة لاموند، في اليوم التالي لوصولها، واعجبت كثيراً بديكوره وبأثاثه الفاخر.

فجأة، لفت نظرها كنار يحط على غصن شجرة قريبة، فبعث منظره في نفسها بعض الراحة، وحثها على متابعة نزهتها على حافة البحيرة. فتقدمت بحذر بين اغصان

الأشجار المنخفضة المتشابكة.

فجأة. خرج رجل من بين الأغصان وامسك ذراعها، فانتفضت مذعورة.

«آنسة ودروي، يا للمفاجأة الجميلة!» انه صوت كريغ لاموند الساخر.

«هل اضعت طريقك؟» سألها بجفاف وبنظرة تدل على استيائه.

«لا... نعم، فقدت طريقي». ولم تكن قد انتبهت الى انها تخطت حدود حدائق اللايدي ودخلت اراضي اللورد الشاب.

«ماذا تفعلين هنا؟» سألها بحدة وهو لا يزال ممسكاً بذراعها كلص قبض عليه متلبساً.

«كان يجب ان تضع سياجاً يحدد بوضوح موقع اراضيك!».

ان موقفه القاسي منها يبدو مبالغاً. متى سيقرر اخيراً التخلي عن الموقف العدائي منها؟.

«هل ارتكبت خطأً كبيراً بقيامي بنزهة بعد انتهاء عملي؟».

«هكذا اذاً، انت تعملين؟» سألها بدهشة.

«اللايدي لاموند جعلت مني، بالإضافة لممرضتها، وصيفتها الخاصة!» اجابته بتحد.

«ما هذه البدعة الجديدة ايضاً؟ جدتي ليست بحاجة لوصيفة! كانت تفضل الوحدة...».

«انت مخطىء» اجابته بجفاف.

«اليوم قرأت لها، فهي لم تعد ترى جيداً...».

«انت تمزحين!» صرخ كريغ غاضباً.

«فنظرها افضل من نظري...» ثم سكت فجأة، وكأنه لاحظ انه تكلم كثيراً. هل ندم لأنه كشف امام غريبة عن اشياء ومعلومات تخص جدته. فهي مجرد خادمة في نظره، وبدون شك، لن تكون اكثر من ذلك.

«انا آسفة لأنني وطأت ارضك». قالت الفتاة لتقطع الصمت المزعج.

«هذه ليست غلطتك وحدك»، قال وهو يهز رأسه غاضباً.

يا لها من عائلة غريبة، انهما متمسكان جداً بحريتهما، الجدة والحفيد، لكن الظاهر انه يحب جدته بصدق، الم يكن الوحيد الذي كان يزورها في المستشفى؟ لكن علاقتهما غريبة. اعادها صوت كريغ الى الواقع:

«اتمنى ان تكوني قد اعتدت على هذا المكان. يبدو ان جدتي منحتك الجناح الشرقي، انه الأجمل...» ثم رمقها بنظرة جارحة قبل ان يضيف بسخرية اكثر:

«هل اعجبك؟».

«انه جناح رائع، ويناسبني تماماً. الاحظ انك على علم بكل شيء...».

«جدتي تطلعني على كل ما يتعلق بك، ولن يدهشني ان اعلم بعد فترة وجيزة بقرارها ان تقدم لك سيارة خاصة وخادمة خاصة بك!» بعد هذه الكلمات المليئة بالاحتقار، ابتعد عنها واختفى بسرعة.

لماذا تخبره اللايدي بكل حركات ونشاطات ممرضتها؟ احقاً تريد منحها سيارة وخادمة؟ لا، هذا غير معقول! نعم، كانت تقيم منذ وصولها في الجناح الشرقي البعيد عن غرف الخدم. اول ردة فعل لها كانت رفض هذه الهبة التي لا تستحقها، لكن اللايدي لاموند، غضبت كثيراً ثم توسلت اليها كي لا تناقش اوامرها ابداً.

«يسعدني كثيراً ان ارى هذا الجناح مشغولاً من جديد».

أكان... جناح ابنتك؟» سألتها بحذر.

«منذ مدة طويلة...».

عادت الفتاة من نزهتها، وندمت على قرارها بالإقامة في هذا الجناح، على كل حال، هي لم تكن معتادة على مثل هذا الجناح الفاخر المؤلف من غرفة نوم وصالون وحمام.

تأملت شقتها من جديد وهي تفكر بكلمات كريغ الجارحة. نعم، انه على حق، انها تعامل كأميرة، تأكل وتنام وتقبض المال دون القيام بأي عمل.

لا، لا يمكن للايدي لاموند ان تفعل كل هذا معها بدون سبب! انها تدين لها بتفسير. فخرجت من غرفتها بسرعة وقد قررت مواجهة ربه عملها....

في البهو، وجدت نفسها وجهاً لوجه امام كاتي التي تلمع عيونها من الغضب.

«السيدة في حالة.. لا تطاق! لست ادري ما الذي يمنعني عن الرحيل عن هذا المنزل»، صرخت وقد فقدت تمالك نفسها.

www.elromancia.com

«كل مرة، يتكرر نفس الشيء، من المستحيل جعلها تتعقل...».

«ماذا حصل كاتي؟ لماذا هي غاضبة؟».

«غاضبة؟ يا الهي! هذه الكلمة لا تكفي! اتصلت حفيدتها جاني و... ايقظتها من النوم! انت تعرفين...» قطعت كاتي كلامها، واحست لورنا انها تحاول فجأة تغيير الموضوع.

«الا يسعد السيدة لاموند ان تتصل بها حفيدتها؟» سألتها لورنا بفضول.

«جاني... وجدتها لا تتفاهمان دائماً... جاني في السابعة عشرة من عمرها، جميلة جداً تشبه الملاك، وتعامل جدتها بلطف... بدون شك هي تفكر بالثروة الكبيرة التي...» وترددت كاتي قليلاً.

«ومن هم ورثاء السيدة لاموند؟».

«حفيداها فقط... لكن اي تصرف يغضب جدتهما، يحرمهما من الميراث».

رغبت لورنا بمعرفة المزيد، لكنها لم تشأ إثارة الشكوك حول فضولها.

«الأفضل ان اذهب لأرى اذا كانت بحاجة لي». قالت واتجهت نحو غرفة اللايدي.

للمرة الثالثة خلال هذا الأسبوع، منحتها اللايدي لاموند يوم اجازة، وطلبت منها ان تعود في الساعة السادسة...

اعترضت لورنا على الفور، وأكدت رغبتها في العمل كي تستحق إجرها المرتفع. لكن النقاش، كان كعادته

بدون جدوى، فاستسلمت امام غضب الامرأة المسنة.

نهضت هذا اليوم باكراً، وقررت الخروج من سجنها الذهبي. تسلحت بخريطة عن المنطقة وبحذاء رياضي، وسارت بين الأشجار، التي تتلألأ حبات الندى على اوراقها... بعيداً عن قصر اللوشارين..

لكن للأسف، كانت افكارها تعود رغماً عنها نحو جيلبرت، خلال هذه الأيام، حاولت نسيانه، ولكن عدم النشاط الذي وقعت ضحيته في دوير هاوس جعل جهودها بدون نتيجة... اين هو الآن؟ لابد انه برفقة خطيبته في منزل والديها الكبير على شاطىء كنت.

تنهدت وتابعت سيرها، فخلال ايام الوحدة واليأس، كانت تقوم بنزهات يومية، وأصبحت تحب قسوة ووعورة هذه الأراضي المنعزلة.

وكثيراً ما عبرت وادي غلين مور وسفح الجبل البركاني. هنا وهناك، كانت تلتقي بالرعيان وخرافهم، فتتأملهم مبتسمة وتحسدهم على راحة بالهم....

تذكرت ان اللايدي طلبت منها ان تعود قبل الساعة السادسة، فعادت ادراجها وهي تشعر بأنها دائماً تحت تصرف سيدتها.

السيدة ترن الجرس فتهرع لتلبية ندائها، السيدة لا تحتاج اليها، فتقضي وقتها بالملل.

ماذا تفعل؟ يبدو انها كانت قد كونت فكرة خاطئة عن اللايدي اثناء اقامتها في المستشفى... فبعد ان عادت الى مملكتها، تحولت اللايدي الى مستبدة طاغية.

لم تكن لورنا من بين الخدم الذين يشتكون من قسوتها، فهي تعترف انها تعامل معاملة مختلفة عن الجميع، اثارت حقد اللورد كريغ لاموند عليها.

- ٤ -

ولقد رأت الكره في عينيه وهو يخرج بالأمس من غرفة جدته. كانت لورنا ترتب الأزهار في مدخل المنزل، عندما رأته يخرج كالثور الهائج اصطدم بباقة الزهر وهو في طريقه، وخرج دون ان يعتذر.

ما الذي يغضبه منها لهذه الدرجة؟ نظرته الحادة لم تسمح لها بأي شك بالدور الذي تلعبه بشكل مباشر او غير مباشر في إثارة غضبه.

للحظة، فكرت بأن تلحق به وتطلب منه ايضاحاً... ولكنها خافت من تفجير غضبه وتلقي مزيداً من الذل.

وبالمقابل، قررت ان تكتشف، بدون مساعدة احد السر المتعلق بوجودها في هذا المنزل. خطر ببالها كثيراً ان تقدم استقالتها. لكنها فكرت انها ستجد نفسها في الشارع بدون

www.elromancia.com

منزل وبدون عمل. بينما اذا بقيت هنا، لن تكون بحاجة للتفكير بوضعها المادي، يجب ان تصبر الى ان تدخر بعض المال الذي يعينها على تأمين معيشتها وبعد ذلك، لن يجرؤ احد على منعها من الرحيل.

«لن اتركه يؤثر علي!» اقنعت نفسها وهي تدخل الى المنزل.

«سأقوم بعملي بشكل طبيعي، دون ان اهتم بما يفكر به اللورد».

في اليوم التالي، توجهت الى القرية المجاورة لتشتري بطاقات بريدية.

احتارت في الاختيار، فتدخل شاب يقف خلفها لمساعدتها.

«بامكانك ان تختاري هذه التي تمثل للزي الاسكتلندي التقليدي. انا نفسي ارسلت مثله لوالدي...».

التفتت بسرعة ولاحظت شاباً اشقر تشرق عيونه بالمرح ويمد يده نحوها.

«اسمحي لي ان اقدم نفسي. جف تونسلي. اقضي اجازة هنا في المنطقة».

بدون تفكير، مدت يدها نحو الشاب.

«انا لورنا ودروي... تشرفت بمعرفتك.. اتنزل في فندق البلدة؟».

«لا، انزل عند شقيقتي، انها متزوجة من اسكتلندي ويعيشان في مزرعة صغيرة على اراضي كريغ لاموند».

«ايملك الكثير منها؟».

«عشرون مزرعة تقريباً، يستأجرها اناس مثل صهري يعملون فيها...».

«والماشية؟» سألته بفضول.

«السيد لاموند يملك قطيعاً مؤلفاً من اكثر من مائتي بقرة... كلها من اصل اسكتلندي. وأفضل انواعها تربى في المزرعة الرئيسية مع الخراف في الجهة الغربية من الوادي...».

لاحظ الشاب انه اثار فضولها. فابتسم ودعاها لتناول الشاي في مطعم قريب.

«فكرة جيدة» اجابته بحماس، وخرجا من المكتبة مبتسمين.

وصلا الى ساحة القرية وهما يتبادلان المزاح، فلفت نظر لورنا رجال يرتدون التنانير.

«كنت اعتقد ان هذا اللباس انقرض»، قالت بدهشة.

«لا يزال اهالي القرى يعتبرونه مهماً بالنسبة للمحافظة على التقاليد، لقد اختفت هذه العادات في المدن، لكنها لا تزال ملحوظة في القرى».

«وهل لألوان التنورة معنى خاص؟».

«انها تسمى الكلت وألوانها تحدد القبيلة.

ثم اضاف: «وهذا الرجل الذي امامنا ينتمي لقبيلة الماك لاشن، لاحظي قطعة القماش التي فوق كتفه، والبروش الذي يثبته على صدره...».

«يبدو انك تعرف هذا البلد وعاداته جيداً».

«انا ازور شقيقتي دائماً، وزوجها لطيف جداً ولا يتوقف

www.elromancia.com

عن الكلام عن بلده».

دخلا المطعم وجلسا حول طاولة قرب نار المدفئة.

«انهم يشعلون النار صيفاً وشتاءً. ففي هذه المنطقة، يبقون دائماً على حذر من تبدلات الطقس المفاجئة».

اقترب منهما الخادم، فطلب جف الشاي والحلوى، والتفت نحو الفتاة من جديد.

«انت تعملين في دوير هاوس؟».

«انا ممرضة اللايدي لاموند، وهي تعتبرني وصيفتها ايضاً».

«اختي كانت ايضاً ممرضة قبل انتقالها الى اسكتلندا!».

«كم ستمكث هنا؟».

«شهراً. لقد وجد لي صهري عملاً في قصر الدوق فلافال سأعمل في الحدائق، اتعرفين هذا القصر؟».

«سمعت انه قصر يعود للقرن السابع عشر، وقد اعيد ترميمه ويفتح للعامة مرتين في الأسبوع».

«نعم، هل ستأتين لزيارته يوماً؟».

«هذا ممكن، لنتناول الحلوى انا جائعة ولم اتناول فطوري كي لا يفوتني الباص الوحيد المتجه الى هذه القرية».

«اليس لديك سيارة؟ يسعدني كثيرا مرافقتك في طريق العودة».

يبدو هذا الشاب لطيفاً جداً. ولكن هل يجب عليها ان تثق به بهذه السرعة؟.

«اللايدي لاموند مليونيرة واسعة الثراء، اتعرفين ذلك؟»

ملاحظة جف هذه جعلت عيونها تجحظ من الدهشة.

«لم اكن اعتقدها بهذا الثراء!».

«الجميع هنا يعرف مقدار ثروتها، لقد تخلت عن قسم كبير منها لوالدة كريغ الذي تعبده. بعد وفاة والديه، فعلت المستحيل كي يحتفظ اللورد الصغير بلقبه... ولكن الكثيرين يزعمون انها بخيلة...».

«ولكن لا داع لقلق حفيديها، على ما يبدو لي». قالت بصوت منخفض عندما اقترب الخادم. فأسرع جف ودس قطعة النقود بيده، رغم اعتراض الفتاة، رفض ان يسمح لها بدفع الحساب. ثم خرجا من المطعم.

«كما قلت لك، السيدة لاموند كانت تحب ابنتها الكبرى والدة كريغ كثيرا. وبالمقابل لم توافق على زواج والدة جاني من رجل من عامة الشعب ورفضت منحها اي قرش. والدا جاني يعيشان الآن في منزل بسيط ليس بعيداً عن القصر».

«اهو ذلك المنزل الرمادي الذي في اعلى التلة؟ يبدو تعيساً جداً. كان يجب على السيدة لاموند مساعدة ابنتها في شراء مسكن جديد!» قالت لورنا وقد عقدت حاجبيها. ووجدت ان موقف السيدة العجوز ليس عادلاً. فهي تقدم لممرضتها راتباً مرتفعاً جداً، دون ان تطلب منها القيام بأي عمل، بينما تحرم ابنتها من ميراثها.

«لماذا لا يساعد كريغ خالته؟».

«اعتقد انه مستعد لدعمهما مادياً. لكن والد جاني يرفض بدافع الكرامة، بدون شك. فهو فلاح شريف، لا

يهتم بأموال لاموند. وهو لا يوافق على رأي زوجته التي تحب ان تعيش ابنتها حياة ارقى...».

«انت تعرف هذه العائلة جيداً جف؟».

«إيان زوج شقيقتي ولد في احد مزارع لوشارين، وكذلك والده، ويعرف كل ما يجري هناك... إن موقف اللايدي غير عادل ابداً...» ثم صمت قليلاً ولاحظ انه يتكلم عن ربة عملها.

«انا آسف لأنني اتكلم هكذا عن ربة عملك».

«لا بأس، فانا من رأيك». ورغبت في ان تخبره عن موقف اللايدي الغريب منها. لكنها غيرت رأيها مع انها تموت من الرغبة في ان تفتح قلبها لصديق. وفضلت ان تؤجل هذا النقاش الى يوم آخر.

اوقف جف سيارته امام حدود الدوير هاوس.

«شكراً، جف... لست ادري كيف اشكرك...».

«بالموافقة على رؤيتي مرة ثانية!» اجابها مبتسماً.

«حسناً» اجابته بدون تردد.

«ما رأيك بنفس المقهى، بعد غد بنفس الساعة؟».

اتجهت نحو المنزل وقد ادركت انها تسرعت بقبول دعوة هذا الشاب. طبعاً هو لم يلح، لكنها كانت بحاجة لصديق. منذ رحيلها عن لندن لم يعاملها احد بمثل هذا اللطف. وهي ككل النساء تحب ان تجد نفسها محط اعجاب. و كانت تعلم ان جف لن يبق غير مبالٍ امام سحرها. فقررت ان لاتشجعه.

فور وصولها الى المنزل، احست بأن شيئاً ما قد حصل.

اسرعت كاتي لاستقبالها وتكلمت بسرعة وهي تتلفت حولها.

«خرج المحامي منذ قليل، انا متأكدة انها غيرت وصيتها من جديد!».

ارتعشت لورنا وتساءلت عن السبب الغريب الذي دعا اللايدي لذلك... قد تكون كاتي مخطئة. فوجود المحامي لا يثبت شيئاً...

«هل انت متأكدة كاتي مما تقولين؟».

«منذ ايام، فاجأت اللايدي تتكلم هاتفياً مع اللورد كريغ. كانت غاضبة جداً وهددته بأنه اذا لم يطعها فإنه لن يحصل على شيء. وعندما اقفلت السماعة بدت مرتاحة وهادئة وكأنها توصلت الى قرار بغاية الأهمية... انت لن تقولي شيئاً امام احد، اليس كذلك؟ اذا علمت السيد هيلسمن فإنها ستخبر الجميع».

فكرت لورنا ان تقدم على الفور استقالتها... ولكن ماذا ستجني؟ لن تفهم اللايدي ابداً سبب رحيلها. والتغيير في وصيتها لا يعني لورنا من قريب ولا من بعيد. تنفست عميقاً وطرقت على باب مكتب اللايدي.

«تفضلي، لورنا».

تفاجأت الفتاة بابتسامة اللايدي المليئة بالحنان وهي تتأرجح بهدوء على مقعدها الهزاز. وكانت ترتدي ملابساً انيقة على عادتها. وتعقد ايشارباً على عنقها علقت عليه بروش ذهبي مزين بالألماس. اعجبت الفتاة بأناقة الليدي وجمال هذا البروش.

«انها من الألماس النقي، هل اعجبك؟».

«انه رائع!!».

«كنت اريد ان اقدمه لابنتي، والدة كريغ...» وتلألأت الدموع في عينيها.

«لك انت اريد تقديمه اليوم» اعترضت الفتاة ورفضت الهدية.

«خذيه لورنا، ارجوك لا تناقشيني!».

«لا، لا مجال لذلك، ابداً، لن يمكنني ان..».

«آمرك ان تأخذيه!» انفجرت اللايدي غاضبة.

«هيا يا صغيرتي، لا تغضبيني» اضافت ببعض الهدوء....

«احتفظي به، وتعالي اقرأي لي قليلاً...».

«سيدة لاموند، لا انوي قبول اي شيء منك».

«حسناً، آنسة ودروي» واعادت البروش الى فولارها.

«اذا كنت تعتبرين الأمر هكذا، فأنا سأعرف كيف اجبرك على تغيير رأيك، الآن تعالي واقرأي لي آخر جزء من هذا الكتاب».

- ٥ -

اطاعتها الفتاة وفكرها مشوش بعد هذا النقاش، وبين الفقرات كانت تتأمل خواتم اللايدي التي تزين اصابعها. طبعاً، هذا البروش المرصع بالألماس لا يمثل قيمة كبيرة بالنسبة لها. ولكنها لا تفهم لماذا تصر اللايدي على تقديمه لها.

لماذا لا تقدمه لحفيدتها؟ موقف هذه اللايدي المتسامح معها يخفي سراً كبيراً...

تذكرت جيلبرت فجأة. هو السبب في كل ما هي فيه. وكأن العالم كله متفق ضدها. لم تكن لورنا تهتم كثيراً بالكسب المادي والهدايا. حلمها الوحيد، هو ان تلتقي برجل يحبها بصدق! فقررت ان تمكث في الدوير هاوس لمدة اسبوعين ايضاً ريثما تجد عملاً آخراً في المنطقة،

www.elromancia.com

بدون شك، سيكون جف مستعداً لمساعدتها.

«انت تقرأين بدون تركيز، لورنا»، قالت لها اللايدي فجأة.

«اعذريني سيدتي...».

«انت غريبة، لورنا... احياناً تبدين قريبة مني، واحياناً تنطوين على نفسك. انا لا احب الذي يخفون افكارهم...».

«الا تخفين انت ايضاً افكارك؟».

هبت اللايدي واقفة وتطاير الشرر من عينيها.

«انا سيدتك، لا تنسي هذا! ولست مضطرة لتقديم حساباتي لك، ايتها الوقحة الصغيرة.

احمر وجه الفتاة وتفاجأت بموقف اللايدي الغريب..

«ارغب بالاستراحة الآن. اختفي من وجهي. انت حرة حتى الغد...».

خرجت لورنا لتتنشق الهواء في الحديقة وهي ترتجف. تأكدت هذه المرة من وجود سبب خفي يدفع اللايدي لمعاملتها افضل من ابنتها حتى. تابعت سيرها حتى خرجت من الحديقة وسلكت طريقاً متعرجاً بين البساتين. وفجأة، سمعت هدير سيارة. فالتفتت الى الخلف، ورأت سيارة قديمة تسلك نفس الاتجاه، فابتعدت كي تترك مجالاً للسيارة بالمرور.

تفاجأت كثيراً عندما توقفت السيارة بقربها وظهر وجه مبتسم من نافذتها.

«ايمكنني ان اوصلك الى مكان ما؟».

«لا شكراً، انا اقوم بجولة قصيرة فقط...».

نظرت اليها سائقة السيارة طويلاً ثم سألتها:

«الست الآنسة ودروي، ممرضة جدتي؟».

«نعم... انت... جاني؟ اقصد الآنسة ماك فارلين؟».

«تشرفت بمعرفتك... انتظري! سأركن سيارتي ونتحدث قليلاً».

كان صوتها دافئاً وعينيها تلمع بالحيوية، نزلت من سيارتها واقتربت من لورنا.

«انت جميلة جداً، آنسة ودروي. هل انت مرتاحة في عملك الجديد؟» ثم ضحكت ومدت يدها نحوها.

«بامكانك ان تناديني جاني، ككل اصدقائي... وانت، ما هو اسمك الصغير؟ دائماً يقول لي كريغ انني اقفز كالديوك عندما اكلم، اخشى انه على حق. اعذريني ايه.....».

«لورنا». اجابتها الممرضة ضاحكة، وعلى الفور استلطفتها ورغبت بالتعرف عليها اكثر.

«لا بأس، جاني، للحقيقة انا اكره الجديين، الحياة معهم مملة».

«يبدو انك اكثر تفهماً من قريبي كريغ! يعتقد انني سخيفة احياناً... لا، لن اتكلم عنه بسوء، والا ستعتقدين انه فظ، اليس كذلك؟».

«هذا يعني...».

«اوه، اهذا هو رأيك به؟» سألتها الفتاة ضاحكة.

«كريغ ليس فظاً ولا لئيماً! انه يتظاهر بالعجرفة فقط

www.elromancia.com

ليبسط سلطته. انه في الخامسة والثلاثين من عمره لكنه يملك قلب طفل».

«لا اعتقد ذلك...».

«هيا، لورنا، حدثيني قليلاً عنك. اسمك جميل».

«اتعيشين في هذا المنزل الصغير؟» سألتها لورنا وهي تشير نحو منزل متواضع في اعلى التلة.

«انه ليس جميلاً، وليس كبيراً، لكننا نحبه وقد اعتدنا عليه، لا يمكن لأحد ان يتصور اننا من نفس العائلة» قالت وهي تلتفت نحو قصر الدوير هاوس.

«اعتقد انك على علم بالشائعات».

«اية شائعات؟».

«اوه، خادمة جدتي تتكلم كثيراً، من المؤكد انها كلمتك عن زواج والدتي من رجل عامي فقير...».

لم تشأ لورنا اخبارها ان جف هو الذي اخبرها.

«ابي ملاك وانا احبه! ولا يهمني كل مال العالم، جدتي دمرت حياة والدتي عندما تخلت عنها. لكن هذا لا يهمنا، نحن سعداء!».

«المال ليس مهماً»، ورغماً عنها فكرت بجيلبرت الذي يخالفها رأيها.

«انا من رأيك، لورنا. لكن والدتي تنصحني بأن اكون لطيفة مع جدتي. تعتقد انه يجب الا اخاطر بفقدان ميراثي انا ايضاً. على كل حال جدتي تحبني، وانا احبها مع انني اجد انها قاسية جداً مع امي...» ثم ضحكت ببراءة وأضافت:

«لاحظت كم انا افتقد الى الجدية؟ بالكاد اعرفك وها انا كشفت لك اسرار عائلتي».

«اطمئني جاني، لن ابوح بأي سر».

«سأتذكر ذلك. الى اللقاء، سأزور جدتي غداً بعد الظهر، بدون شك سأراك هناك». قالت لها وهي تصعد الى سيارتها.

«الى اللقاء جاني، سأقوم بمشترياتي من القرية وأعود قبل فترة بعد الظهر».

اطلقت جاني زمور سيارتها وحركت يدها مودعة. بينما ظلت لورنا تلوح لها بيدها الى ان اختفت سيارتها. وظلت للحظات متوقفة في وسط الطريق تفكر بالعلاقة الغريبة التي تربط اعضاء هذه العائلة.

«كلميني عن سرك، لورنا، لا تخفي اي تفصيل...» قال لها جف عندما انضمت اليه في مطعم القرية.

شجعتها ابتسامته ففتحت له قلبها عله يساعدها بتوضيح موقف اللايدي منها.

فروت له مغامراتها ولم تخف عنه خطوبتها مع جيلبرت وانفصاله عنها.

«كيف تمكن خطيبك من التخلي عنك؟» سألها بدهشة.

«لا يمكنني تصديق ذلك. لابد انه رجل مجنون».

تابعت لورنا سرد قصتها، فعقد جف حاجبيه عندما لمحت عن ارتياح عمتها وزوجها عندما علما برحيلها، واخيراً رفعت نظرها نحوه وقالت مبتسمة:

«كنت بحاجة ماسة لاكشف عن همومي شكراً لك لأنك

استمعت الي . . . اعذرني».

«لا تعتذري لورنا»، قال لها مبتسماً بحنان واضاف:

«انا سعيد لأنك تثقين بي».

«عدني بألا تقول لأحد عما رويته لك، حتى ولا لأختك».

«لا تقلقي، سأحفظ لساني».

«ان اكثر ما يقلقني هو موقف اللايدي لاموند وموقف حفيدها كريغ».

«تقولين بأنها غيرت وصيتها مؤخراً . . .».

«اخبرتني خادمتها الخاصة انها اخذت قرارها هذا بعد عرضٍ رفضه كريغ».

«كريغ وجاني هما وريثاها الوحيدان. اذا كان الامر كذلك، فمن سيتمتع بكل هذه الثروة؟».

«لا أحد باستثناء والدة جاني . . . لكنها حرمتها من الميراث، على كل حال سأسأل صهري لانه يعرف اشياء كثيرة عن عائلة لامون، وطبعاً دون ان أثير شكوكه».

ابتسمت له لورنا بكل امتنان.

«يبقى هناك سؤال لورنا: لماذا توسلت اليك اللايدي لاموند كي تأتي إلى قصرها؟ أمن أجل تدمير حفيدها؟».

«لا افهم . . .».

«حسب اقوالك، يبدو ان كريغ لم يتقبل وجودك في دوير هاوس . . .».

«هذا صحيح للاسف . . .».

«هل سبق له ان كلمك بمودة؟».

«ابداً. انه يكرهني منذ اللحظة الاولى».

«اتساءل ماذا يمكن لخطيبك السابق ان يكون قد روى له عنك . . .».

«جيلبرت؟ ماذا تقصد؟».

«بامكانه بكل بساطة ان يكون قد اثر على رأى كريغ بما يخصك انت».

«وكيف ذلك؟» سألته بدهشة.

«مثلاً، بامكانه ان يجعل كريغ يعتقد أن سبب فسخ خطوبتكما تعود لاسباب مهمة . . . فحسب وصفك له يبدو ان الدكتور ميرديت بدون ذمة . . .».

«اوه، لا! لا يمكن لجيلبرت أن . . .» وترددت قليلاً عندما تذكرت موقف خطيبها السابق.

«لا تبدين متأكدة» قال جف وقد لاحظ صراعها الداخلي «اعتبري على الاقل أن هذا التفسير يضع بعض الضوء على موقف كريغ الجاف منك. اذا كان يعتبر انك المسؤولة عن فسخ خطوبتك مع صديقه العزيز، فهو معذور لان جيلبرت خدعه . . . ولكن اذا كان يفكر بانك تتصرفين فقط من اجل هدف استغلال محبة جدته لك . . .».

استمعت لورنا بذهول لتفسيرات جف، وباتت مقتنعة الآن بوجه نظره. لقد وقعت في فخ جيلبرت الذي أطبق على انفاسها. كم كانت ساذجة!.

«انا اكرهه!» صرخت بمرارة «كيف امكنني أن احب رجلاً قذراً مثله؟».

«اشكري الله لانك تخلصت منه، انسيه لورنا انه غير

جدير بك».

«لم يكن جيلبرت على طبيعته عندما افترقنا ربما كان على خصام مع خطيبته الجديدة، هذا يفسر موقفه الفظ...».

«هذا ممكن» اجابها جف بشرود وكان يبدو غير راغب بمتابعة الحديث عن الدكتور.

افترقا بعد ان وعدها جف بان يجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات قبل لقائهما القادم.

«لا تنسى ان تسأل اختك اذا كان بامكاني ان اجد عملاً في المنطقة» قالت قبل ان تركب الباص.

«اعدك بذلك» اجابها ملوحاً بيده.

- ٦ -

فور وصولها الى مدخل المنزل. لاحظت لورنا سيارة جاني في الممر، فصعدت الى غرفتها كي تنتعش وتبدل ملابسها. ابتسمت جاني لها بوجهها المشرق على خلاف وجه جدتها العابس.

«اجلسي لورنا. اعتقد انك تعرفين جاني...».

«نعم. هذا صحيح» اجابتها وهي تبتسم للفتاة، وبعد قليل رافقتها حتى سيارتها وسألتها بلطف.

«ما بك جاني لماذا اختفت ابتسامتك؟».

«احب ان اخبرك لورنا، لم يعد بامكاني التحمل اكثر!».

امسكت لورنا يد صديقتها الجديدة وجذبتها نحو الحديقة بعيداً عن آذان كائي.

www.elromancia.com

«لورنا. لقد وقعت في الحب!».

«اوه».

«احب ابن موظف يعمل عند قريبي. اذا علمت جدتي بالامر، ستغضب كثيراً! هذا فظيع، تريد اجباري على...».

لم تتم هذه الجملة واضافت بسرعة.

«لا يجب ان يعلم احد بسري. لم اقل شيئاً لوالدتي ايضاً. انها تصر على أن احصل على ميراثي. لا تريد ان اعيش في الفقر مثلها. انت تفهمين...؟».

«ايعلم قريبك بعلاقتكما؟».

«لا اجروء على الاعتراف له. اخشى ان يطرد والد خطيبي من عمله».

«انتما مخطوبان...!».

«نعم، وسنتزوج ولن يتمكن احد من منعنا» واخذت ترتجف وانهمرت دموعها.

«ماذا سنفعل، لورنا؟ انا تائهة...».

«لا تفعلا شيئاً الآن». نصحتها بهدوء وتذكرت كلام كاتي عن الوصية.

«دوغ صبور ومتفهم، لا يهمه كل هذا المال، ولكنه لا يريد ان يسبب الألم لوالدتي بسبب زواجنا... فجدتي لن تسامحني ابداً. ووالدتي ستغضب اذا حرمتني جدتي من الميراث».

ثم مسحت دموعها وأضافت:

«لماذا تعتبر جدتي الناس العامين ساقطين من

المجتمع؟ ليس المال هو الذي يحدد الفرق بين الناس! احياناً اتساءل اذا كان كريغ يفكر مثلها. انهما متشابهان جداً مع انهما يكرهان الاعتراف بذلك...».

«لكنهما لا يبدوان متفقين».

«كالكلب والهرة! شيء ما يدهشني في علاقتهما، ولكن عندما اسأل كريغ ينصحني بأن اهتم بشؤوني...» ربتت لورنا على كتفها بمحبة ونصحتها بالتروي.

«لقد ارتحت بمشاركتك همومي، لورنا اشعر بتحسن الآن».

بعد تناول العشاء. قررت لورنا القيام بنزهة كي تتمكن من ترتيب افكارها. عند عودتها من احد الممرات الضيقة، وجدت نفسها وجهاً لوجه امام اللورد كريغ لاموند. يا الهي، مرة اخرى سلكت الطريق الممنوعة، وفاجأها كريغ على ارضه.

تهيأت للعودة، ولكنه امسك يدها بسرعة..

«لا تستعجلي، آنسة ودروي، انت لم ترتكبي اي خطىء!».

«لم... لم يكن يجب علي تخطي حدود...» اجابته متلعثمة، توقفت نظرات كريغ طويلاً على شعرها الأشقر الطويل.

جميلة جداً بثوبها القطني الأزرق الذي يتناسب مع لون عينيها.

حاولت ان تقرأ نظراته، وتفاجأت كثيراً عندما رأت فيهما اعجاباً... والذي فاجأها اكثر، رغبتها الكبيرة بالحصول

www.elromancia.com

على اعجابه!.

هذا سخيف! انها لا تكن له اية مشاعر ولا يوجد أي سبب للبحث عن اعجابه...

«اتحبين زيارة حديقة قصري؟» سألها بلطف افقدها صوتها. هذه اللهجة تثير القلق. يجب عليها ان تهرب وترفض دعوته. لكنها تفاجأت بقبولها.

«سأكون سعيدة، حدائقك تبدو رائعة من بعيد...».

تأملها للحظة، ولاحظ بمرح احمرار وجهها.

لم تستطع الفتاة تحمل نظراته اكثر، فأدارت وجهها كي تخفي ارتباكها. لحسن الحظ، تدخل هو وقطع الصمت.

«ماذا تنتظرين؟» سألها وهو يقدم لها ذراعه بكل تهذيب.

ترددت قليلاً ثم وافقت واخذت ذراعه. كانت سعيدة بفكرة دخولها لاول مرة املاكه برفقة صاحبها الفاتن.

سارا في الممر المؤدي للقصر الذي تحيط به اشجار السرو المرتفعة.

«اجدادي كانوا يهتمون كثيراً بالاشجار» قال لها مبتسماً امام نظرات الاعجاب في عينيها.

«يبدو انك فخور جداً باسلافك وبمنزلك...».

«نعم. لكن للاسف، اعتدت عليه لدرجة لم اعد اراه على قيمته الحقيقية...».

«هل ولدت هنا؟».

«بالتأكيد».

«ووالدك؟».

«والدتي توفيت منذ عشرة اعوام. وانا لم اعرف والدي».

«اذاً انت ورثت هذا القصر وانت في الخامسة والعشرين من العمر فقط».

«وكيف عرفت عمري؟» سألها بدهشة.

«اوه جاني ألمحت بذلك ذات يوم...».

«جاني!» ردد كريغ ولمعت عيونه بالمكر «انها تحبك كثيراً، على ما يبدو...».

«انه شعور متبادل».

«حقاً؟».

«اتشك بذلك؟».

فهز كتفيه واسرع الخطى.

«اترغبين ايضاً بزيارة القصر؟».

لم تستطع اخفاء مفاجأتها بهذه الدعوة. لاحظ كريغ ذلك وحاول تشجيعها.

«تبدين مهتمة بالمباني القديمة».

بدون شك، رآها ذلك اليوم عندما كانت تجلس على الشرفة تتصفح كتاباً عن الهندسة المتعلقة بالقرون الوسطى.

«انا لست دليلاً متخصصاً لكني اعرف منزلي جيداً لدرجة انني استطيع اظهار روعته لك» اضاف بابتسامة ماكرة.

منذ ذلك اليوم. اصبحت لقاءاتهما تطول وتنتهي بشكل لطيف. لم تحاول لورنا تجنب اللورد كما وانه اصبح ودوداً

معها. يبدو انه اعجب برفقتها. ونشأ بينهما تيار من الاستلطاف المربك الذي حاول كلاهما تجديد سحره.

في الاسبوع التالي. دعاها كريغ لتناول العشاء في قصره، فقبلت رغم اقتناعها بان هذا القرار لن يعجب اللايدي لاموند.

بعد ظهر ذلك اليوم التقت بجف في مقهى البلدة وعندما اخبرته بهذه الدعوة عقد حاجبيه بانزعاج.

«اسمعي لورنا، لقد علمت من صهري ان اللايدي لاموند وضعت في رأسها ان تزوجه من جاني».

«جاني مستحيل!».

«اطمئني، فهذا الزواج لن يتم. كريغ يعارض هذه الفكرة... ويتسلى الآن مع الممرضة الشابة اثناء غياب خطيبته».

كريغ لديه خطيبة! يا الهي! لكنها حاولت عدم اظهار حقيقة مشاعرها.

«لا يمكن للسيدة لاموند ولا لكل ثروتها ان تجبرهما على الزواج اذا لم يكونا متحابين».

«احذري منها، لورنا».

«لكنها كانت تبدو لطيفة جداً في المستشفى».

«لانها كانت قد قررت شراءك».

«ولكن لماذا؟».

«لست ادري حتى الآن... ولكن هل تنوين حقاً تلبية دعوة اللورد لاموند».

«نعم، بالتأكيد، لقد وعدته بذلك».

«يبدو ان ذاكرتك ضعيفة. نسيت بسرعة كيف كان يعاملك؟».

«انت محق. جف... ولكنه اصبح الآن لطيفاً جداً وانا سامحته على موقفه السابق. على كل حال، نحن جيران!».

«كيف يمكنك الوثوق به، واشك بانه يتصرف معك بمودة لغاية ما في نفسه» قال لها بقلق «واخيراً، لورنا الا يبدو تغير تصرفه المفاجيء مشبوهاً؟».

بصمت، لامت الفتاة جف على محاولته ايقاظ شكوكها باللحظة التي تحسنت فيها علاقتها مع كريغ. لكنها لم تجرؤ على الاعتراف بانها ترتاح برفقته دون ان تحاول تحليل مشاعره.

قبل ان تصعد الى غرفتها دخلت لتطمئن على سيدتها. فوجدتها ممدة على الصوفا تفتح وتغلق علبة مخملية بين اصابعها. عندما رأت لورنا تدخل اخرجت منها البروش الالماس.

«هذه الهدية التي وعدتك بها...».

فنظرت الفتاة الى الالماس المشع ثم نظرت الى اللايدي.

«اخبرتك في المرة الماضية انني لا انوي قبول هذه الهدية».

«انت ستقبلين هذه الهدية وغيرها ايضاً من المجوهرات الخاصة بالعائلة والتي احتفظ بها منذ مدة طويلة...».

«لا مجال لذلك. سيدة لاموند، اكرر لك».

www.elromancia.com

«ايمكنني معرفة السبب؟». وأضافت بسرعة:

«اولاً لانك لم تطلبي رأيي».

«كيف كان يمكنني ان اعرف بانك سترفضين، ايتها المجنونة؟ هذه المجوهرات تساوي ثروة».

«ولهذا السبب لن اقبلها ابداً».

«لم يتجرأ احد من قبل على مخاطبتي بمثل هذه الوقاحة».

- ٧ -

«ولم يسبق لاحد المستخدمين ان تقبل هدايا من اسياده بدون سبب».

«انت في منزلي. وأنا آمرك بان تأخذي هذه الهدية» لمعت عيناها بالغضب ورمت العلبة على الارض، فتدحرج البروش تحت قدمي الفتاة.

«خذيه» امرتها بحدة وعصبية.

اتجهت لورنا نحو الباب دون ان تلمس البروش.

«اذا لم تكوني بحاجة لي...».

«لن تغادري هذه الغرفة قبل ان تأخذي البروش».

نظرت لورنا الى ساعة الحائط بتوتر. انها تقترب من الثامنة وكريغ ينتظرها...

«اسمعي، سيدة لاموند لدي موعد هذا المساء، ولا

www.elromancia.com

اريد ان أتأخر. . .».

«مع من. . . هذا الموعد؟».

«انا آسفة. هذا لا يعنيك» اجابتها بجفاف.

«من سمح لك بالخروج هذا المساء؟» سألتها بغضب شديد.

ادركت لورنا انها اذا استمرت بالنقاش سيكون مصيرها الطرد. فحاولت ان تهدأ غضب السيدة.

«سيدة لاموند. انت تعرفين ان دوام عملي ينتهي في الساعة الخامسة».

«انت منذ وصولك تتمتعين بأوقات فراغ كثيرة».

«انا لا افعل سوى تنفيذ اوامرك، سيدتي كنت اطلب دائماً ان اقوم بواجبي على اكمل وجه لكنك انت كنت تعارضين».

«لورنا. انا احبك كثيراً، ولا افهم لماذا ترفضين بعناد الهدية التي يسعدني ان اقدمها لك».

«لانها ثمينة جداً، سيدتي».

«ايهون عليك غضبي، الا تملكين قلباً؟».

دقت الساعة الثامنة. من الغباء ان تفوت موعدها هذا بسبب عنادها فلتذهب الاخلاق الى الجحيم.

«حسناً، اقبل. . .» وتناولت البروش ووضعته في العلبة.

«شكراً لورنا. لو تعلمين مدى فرحي. ستضعينه اتعديني بذلك؟».

«اعدك بذلك، ايمكنني الذهاب الآن؟».

«لم اكن اعلم ان لديك اصدقاء غير جاني. لكن جاني ووالديها لا يمكنهم دعوتك للعشاء بسبب ضيق امكانياتهم المادية. . .».

يا لها من امرأة شريرة! كم تحتقرها لقد كان جف محقاً بشأنها. آه جف. نعم.

«لدي صديق آخر، يقضي اجازة في المنطقة».

«ما اسمه؟».

«جف. شقيقته زوجة ايان ماكراي».

«حسناً، لورنا بامكانك الذهاب، تمتعي بهذه السهرة. . .».

دون ان تضيع لحظة اخرى. اسرعت الى غرفتها، وبدلت ملابسها ووضعت بعض المكياج الخفيف. بعد نصف ساعة كانت تعتذر من مضيفها.

«السيدة لاموند أخرتني» شرحت لكريغ وهي تناوله معطفها.

نظرة الاعجاب في عيونه انزلقت على طول قامتها الرشيقة.

«اخرتك. . .؟» سألها بدهشة بعد ان ناول معطفها للخادم «كنت اعتقد انك لا تعملين ابداً. . .».

«هذا صحيح تقريباً. ولكن هذا المساء. الامر مختلف. . .» واحست بخديها يشتعلان بالاحمرار.

«هل جدتي مريضة؟» سألها بقلق.

«لا، اطمئن. . . حصل بيننا نقاش قصير. لكن لا شيء خطير» قالت متلعثمة وخشيت ان يطلب كريغ تفسيراً اكثر.

لكنه لحسن الحظ لم يبد اي تعليق ودعاها الى الصالون.

«اتحبين الستيك ويلنغتون؟».

«نعم».

«اتمنى ان يعجبك طعام طباخي» ثم قدم لها كأساً من الكوكتيل الازرق.

«هل هي على علم باننا سنتناول العشاء معاً؟».

«لا لم اخبرها».

«حسناً، لنشرب نخب صحتك. آنسة ودوري».

شرب جرعة ثم قال لها بابتسامته الساحرة.

«اشربي، لورنا هذا الشراب اسمه برادي، تأثيره فوري. ينقلك فوراً الى عالم من السحر».

رفعت لورنا الكأس بين شفتيها وتأملت كريغ بطرف عينها. كان يبتسم لها. وهو انيق جداً في بدلته السوداء وقميصه الابيض الحريري.

تساءلت للحظة عن وجودها قربه وفكرت بجيلبرت الذي سبقت زيارته لهذا المكان زيارتها. من المؤكد انه شعر بالحسد نحو صديقه، وهو مستعد للقيام بكل شيء كي يمتلك مثل هذا المنزل ذات يوم. زواجه من سوزان ابنه المليونير المعروف سيكون بداية نحو تحقيق هدفه.

«انت رائعة. لورنا» همس كريغ بلطف جعلها تبتسم.

«شكراً، كريغ» واحمر وجهها عندما لفظت اسمه بكل هذه البساطة.

«دائماً كانت جدتي صاحبة ذوق رفيع... اخشى انني فكرت بصوت مرتفع» اضاف مبتسماً بمكر.

ابتسمت له وتركته يقودها نحو غرفة الطعام. كانت الغرفة واسعة، سقفها خشبي مرتفع. ديكورها الفخم البارد يشبه الصورة التي كونتها الفتاة في ذهنها عن منازل العصور الوسطى. الطاولة ثقيلة الوزن بخشبها المحفور وكراسيها المستقيمة العالية الظهر...

كان كريغ يبدو سعيداً جداً بالكلام عن اصوله. ويروي اساطير تمتزج احياناً باحداث تاريخية منسوبة لاسلافه...

قبل العشاء بقليل. دعا الفتاة لزيارة معرض اللوحات في الجناح الجنوبي للقصر.

«والدي ووالدتي» قال باختصار وهو يشير الى احدى اللوحات المرسومة بعناية كبيرة «يبدو انني اشبههما كثيراً».

بالفعل كان له نفس الجبين الشامخ والعيون الخارقة.

وبعد ان أراها كل اللوحات التفت نحوها مبتسماً وعادا الى غرفة الطعام.

ارتبكت الفتاة عندما رأت كل هذه الاطباق الفضية على الطاولة الطويلة التي تذكرها بالافلام رأتها عن عائلات ارستقراطية حيث يجلس الزوجان على بعد عشرة امتار عن بعضهما ويضطرا للصراخ ليسمع احدهما الآخر.

سحب كريغ احد الكراسي. ودعاها للجلوس بينما ظهر الخادم يحمل اناء الحساء الساخن.

بعد العشاء شربا القهوة في الصالون واهتم كريغ بوضع اسطوانات موسيقية هادئة يتردد صوتها من خلال مكبرات الصوت المثبتة على الجدران.

من المستحيل التصديق بوجود تحف قديمة جداً وآلات

موسيقيه حديثه بنفس الوقت في هذا المنزل! ابتسمت لورنا لهذه الفكرة...

«بماذا تفكرين لورنا؟».

«بهذا القصر... قديم وحديث بنفس الوقت...».

«اذا عاد اسلافي صدفة سيدهشون ويرتعبون...».

«النساء خاصة، امام آلات الغسيل الكهربائية» قالت بمرح.

«اتفضلين العيش في عصرنا هذا، لورنا؟».

«طبعاً!».

«كلميني عن حياتك ومنزلك قليلاً» قال فجأة بلهجة جادة.

اخفضت الفتاة نظرها ولم تجبه على الفور.

«جيلبرت اخبرني انك كنت تعيشين مع عمتك وعمك».

«نعم. اهتما بي بعد وفاة والدي، منذ خمسة اعوام».

«لماذا ارتسم الحزن فجأة على وجهك».

«لا، ابداً. عمتي وزوجها كانا لطيفين معي وهما ثنائي رائع».

«حقا؟» سألها بدهشة.

«للحقيقة، ليس من المعتاد رؤية رجل وامرأة متحدين مثلهما، بعد سنوات طويلة من الحياة المشتركة».

«هناك اناس يحافظون على حبهم طوال حياتهم» قال بلهجة غريبة «ألم تجدي صعوبة في الانفصال عنهم بعد هذه السنوات الخمسة؟».

«الفراق احياناً يكون لمصلحة الانسان».

«هل تركت جيلبرت لنفس الاسباب؟» قاطعها بجفاف.

فنظرت الى عيونه بحدة.

«كريغ... ماذا قال لك صديقك عني؟».

«الحقيقة. كلمني عن انفاصلكما».

«هل اخبرك من هو المسؤول عن هذا القرار؟».

«لا اعتقد» اجابها بانزعاج.

«حاول ان تتذكر كريغ. هذا مهم جداً بالنسبة لي هل لمح لاتفاق متبادل؟».

«انا... لا اذكر شيئاً عن ذلك الحديث...».

لكنه بالتأكيد كان يفضل ان يغير الموضوع، فجيلبرت صديقه، ولن تتمكن هي من سحب أية معلومات منه، واصبحت الآن متأكدة ان جيلبرت خانها. وان كريغ يعرف اشياء لا يريد التكلم عنها.

قريب منتصف الليل، استأذنت لورنا من مضيفها.

«سأرافقك».

هل لاحظ اضطرابها؟ منذ اسبوع فقط كانت فكرة السير الى جانبه ترعبها... كانت تنتظر هذه اللحظة بفارغ الصبر وبقلق بنفس الوقت منذ بداية السهرة. هل تحول كرهها لهذا الرجل الى احساس حنون بهذه السرعة؟.

أمسك كريغ ذراعها بكل لطف وخرجا الى الحديقة التي يضيئها نور القمر. عند ملامسته. ارتعشت الفتاة ودق قلبها بسرعة.

«انتبهي اين تضعين اقدامك» تمتم هامساً.

استندت اليه اكثر وخففت خطواتها، فاحاط كريغ

www.elromancia.com

كتفيها بذراعه. لم تعارض حركته هذه الذي زادت من ارتباكها. ابداً لم تشعر مع الدكتور جيلبرت بهذا الاحساس اللذيذ.

فجأة اطلقت بومة عويلاً هز سكون الليل. فالتصقت الفتاة برفيقها.

«لا تخافي».

«لم اكن انتظر سماع مثل هذا الصوت» اعتذرت مبتسمة.

www.elromancia.com
مـــروريـــة

- ٨ -

عندما وصلا الى مكان اكثر ظلمة. دق قلب الفتاة بسرعة، وبنفس اللحظة ضمها كريغ بين ذراعيه ونظر اليها بحنان، وبكل رقة تناول شفتيها.

استيقظت لورنا في صباح اليوم التالي وهي تظن بانها كانت تحلم، شربت قهوتها بهدوء وكريغ يحتل افكارها وكلمات جف التحذيرية تتردد في رأسها.

لقد تخلى كريغ عن كل حقده عليها كيف تمكن من تغيير موقفه منها بهذه السرعة؟ في البداية كان بارداً فظاً يحاول اذلالها في كل لقاء بينهما، اما الآن فيجد لذة في مغازلتها وتقبيلها. ايمكنها الوثوق به؟ ام أنه يحاول خداعها لسبب ما؟.

مهما كانت نواياه فهي لا تشك بموقفه منها ليلة امس،

احست بصدقه وشعرت بسعادة كبيرة بين ذراعيه لدرجة انها ليست نادمة على استسلامها لقبلاته. بعد تناول الفطور امضت وقتاً طويلاً في حمامها المعطر بالياسمين، فجأة تماثل امامها وجه... جيلبرت!.

كيف امكنها نسيانه بهذه السرعة؟ الغريب في الامر، انها لا تشعر نحوه بأي احساس. ففي هذا العالم المنعزل عن الحضارة المدنية تشعر بانها شفيت من جراحها. لقاؤها مع جف وحنان كريغ خففا من آلام قلبها.

لم تعد نادمة على ترك المستشفى وتنقلها بين المرضى والاشراف على نظافتهم وطعامهم وترتيب اسرتهم. لقد نسيت تذمّر المرضى واستعادت ابتسامتها.

من جديد، فكرت بكريغ وتساءلت عن مشاعره نحوها. لا يبدو عليه أنه رجل يلاحق الفتيات لمجرد أرضاء نزواته... وطبعاً هو لن يفكر بالزواج منها! هذا مستحيل! خاصة وان جف لمح لخطيبة كريغ التي سافرت للخارج لبضعة اسابيع.

رفضت التفكير بهذا الامر. وقررت ان تتمتع بنزهتها الصباحية. ما إن وصلت الى البحيرة حتى سمعت صوتاً عميقاً جعلها ترتعش.

«صباح الخير، آنسة ودروي!».

كان وجه كريغ يبتسم لها ويبدو سعيداً برؤيتها.

«هل نمت جيداً؟».

«نعم، شكراً كريغ على السهرة الرائعة» فوضع اصبعه على شفتيها.

«ارجوك، لا تشكريني، كنت احاول فقط ان اظهر لك ان جارك ليس وغداً» ثم امسك يدها وطبع على راحتها قبلة خفيفة.

«الطقس جميل جداً، فرغبت بالقيام بنزهة قصيرة» قالت وقد احمر وجهها واتجهت نحو البحيرة.

«انت رائعة لورنا، يبدو ان هواء الريف يناسبك».

سارا جنباً الى جنب، وهو يحدثها عن طبيعة الريف الاسكتلندي. وبعد قليل، اعلنت لورنا بأنه يجب عليها العودة الى دوير هاوس.

«يا لك من وصيفة ممتازة».

«انا احاول ان اقوم بواجبي على اكمل وجه».

«هل نلتقي هذا المساء بعد العشاء؟ بامكاننا ان نقوم بنزهة هادئة».

«انت... ترغب برؤيتي من جديد؟» سألته متلعثمة.

«انت تعرفين ذلك. لورنا، سأفتقدك كثيراً اذا لم ترافقيني في نزهتي الليلية».

احمر وجهها وهو يذكرها بموعدهما في الساعة التاسعة من هذا المساء.

في الساعة الخامسة والنصف. ذهبت الى القرية للقاء جف. وجهها المشرق لفت على الفور فضول الشاب.

«هل ربحت جائزة اللوتو لورنا؟».

خلف هذا المزاح كانت تختبىء مشاعر الغيرة ففضلت الا تجيب.

جلسا حول الطاولة القريبة من المدفأة كعادتهما.

«يبدو انك قضيت سهرة جيدة في القصر...».

«نعم. ماذا تشرب؟» سألته بمرح وهي تتناول لائحة الطعام والشراب كالعادة؟».

لكنه عاد بسرعة لنفس الموضوع الذي يقلقه.

«انا لا اثق بهذا الرجل، لورنا واعتقد انه يحاول استغلال سذاجتك...».

«ماذا تقصد؟».

«انه يفعل بك ما يحلو له، متى شاء، اي نوع من الرجال هو؟».

«كريغ انسان طيب خلف خلف مظهره البارد قليلاً...».

تأملته بحذر وغضبت لانه يحاول زرع الشكوك في رأسها. لماذا يحاول ان يقلل من قيمة كريغ في نظرها؟ لا بد ان جف يخفي شيئاً في لعبته هذه. ويجب عليها ان تكون حذرة في الكلام معه عن كريغ.

«هل استعلمت عن امكانية عملي هنا؟».

سألته محاولة تغيير الموضوع. ولكنها في قرارة نفسها لم تكن ترغب بمغادرة منزل اللايدي.

«يجب ان نحذر لورنا، اذا بدأت بسؤال الناس في هذه الايام فالجميع سيعلم بانك قررت مغادرة الدوير هاوس.... بالمناسبة، لقد التقيت بجاني منذ قليل في البلدة».

«لماذا لم تدعها للانضمام الينا؟».

«كنت افضل البقاء وحدي معك».

اذاً صحيح ما فكرت به لورنا!.

«كنت اعتقد أننا نستطيع ان نوطد صداقتنا لتتحول الى علاقة... حميمة. ولكن يبدو هذا مستحيلاً» قال جف بحزن.

«انا آسفة، جف».

«ارجوك لورنا، لا تتعلقي كثيراً بكريغ. انا مقتنع انه يريد بك الاذى».

اصبح وجهه متجهماً وصوته يدل على قلق كبير أثر على الفتاة وجعل من الصعب عليها تمالك اعصابها. وأشار اليها حدسها ان تهرب من هذه المنطقة. ومن تصرفات اللايدي لاموند وحفيدها الغريبة. لكن الرغبة بمعرفة كريغ اكثر كانت الاقوى. فقالت بصوت ضعيف.

«سأفكر بالامر، جف» ثم كلمته عن هدية السيدة لاموند.

«هذا ايضاً تصرف لا تفسير له» اجابها بجفاف.

«لن احتفظ بهذا البروش. سأعيده اليها».

«كلما غادرت هذا المنفى اسرع، كلما كان ذلك افضل، اؤكد لك».

«بدون شك، انت على حق» اجابته متنهدة، ثم شربت جرعة من كوب الشاي. وكان بارداً لاول مرة لم تلمس ايديهما الكاتو اللذيذ.

«سأذهب الآن، يجب ان اشتري بعض الحاجيات قبل عودتي».

«هل سأراك غداً بنفس الساعة؟».

www.elromancia.com

«بالتأكيد. . .» اجابته بثقة لانها كانت تحب رفقته وجو هذا المطعم اللطيف. فبعد ايام سيعود جف الى بلاده. وستفتقد لهذه المواعيد حول الشاي والكاتو اللذيذ.

وفي الصيدلية التقت بجاني.

«لقد رأيت جف منذ قليل، لم اصر على مرافقته عندما قال لي بأنك ستنضمين اليه في المقهى. كأنّ يبدو انه يرغب بالوحدة معك» قالت لها جاني بابتسامةٍ ماكرة» اعتقد انه مغرم بك. . .».

«هذا ممكن. لكن بالنسبة لي، نحن صديقان فقط. هل انتهيت من تسوقكِ؟».

«سأشتري بعض الفاكهة لوالدتي واعود، اتريدين ان انتظرك».

«شكراً جاني. افضل السير قليلاً».

«لقد كلمت والدتي عنك، وهي ترغب بالتعرف عليك. ايمكنك تناول الشاي معنا في المنزل يوم الاحد؟».

«سأكون سعيدة بذلك. لكنني لا استطيع المجيء قبل الساعة الخامسة».

اتفقت الفتاتان. وتابعت لورنا شراء حاجياتها وعندما خرجت من آخر متجر، وجدت نفسها وجهاً لوجه امام كريغ لاموند الذي بالكاد سلم عليها ونظر اليها باحتقار.

«كنت عند جدتي منذ قليل. كلمتني عن البروش الذهبي المرصع بالالماس الذي قدمته لك. . .».

«نعم. . . هذا صحيح» اجابته بصوت مرتجف.

«لم يكن يحق لك قبوله! انه من مجوهرات العائلة».

«ارجوك، كريغ اسمعني. انا لم اكن اريد هذه الهدية لكن السيدة لاموند أصرت كثيراً!.

«لم يكن يجب عليك» صرخ وقد أثمله الغضب.

ودون ان يترك للفتاة فرصة للتوضيح، دار على عقبيه، وابتعد.

صعقها هذا العداء في نظراته ولهجته، فظلت للحظات مسمرة مكانها على الرصيف، لا تجرؤ على تصديق ما سمعته. الامرأة الشريرة تسببت مرة ثانية باغراقها في اليأس. لقد بات من الواضح انها تسعى لاجبار كريغ على تنفيذ رغبتها وذلك بجعله يغار من ممرضتها. . . لا، هذه المرة تخطت اللايدي حدودها. وجعلت الفتاة تصر على الرحيل ولا شيء سيمنعها. كعادتها اسرعت كاثي للقائها فور وصولها.

«السيد كريغ والسيدة لاموند تشاجرا من جديد بعد ظهر هذا اليوم. كان صوتهما يسمع في الطرف الآخر من المنزل. وهي الآن في مزاج متعكر لا يطاق. . .».

لم تعر لورنا كلام كاثي اي اهتمام وصعدت على الفور الى غرفتها واحضرت البروش اللعين ورمته بعد لحظات على طاولة السيدة لاموند تحت نظرات هذه الاخيرة المرعوبة.

«خذي هديتك السامة، سيدتي. لا اريدها وسأقدم الآن استقالتي فوراً وارحل بسرعة عن هذا المنزل. . .».

لم تتم كلامها لان رأس السيدة انحنى فجأة الى الخلف وهزتها رجفة قوية فتمكنت بالكاد من لفظ بعض الكلمات.

www.elromancia.com

«احملوني... على... الفور...» كان صوتها يبدو صادراً من اعماق حنجرتها «اعطوني دوائي...».

«حالاً» ناولتها لورنا الدواء بيد مرتجفة ثم نادت كاثي بسرعة.

حضرت كاثي وساعدتها بنقل السيدة الى سريرها.

«لا تتعبي نفسك سيدتي» قالت لها خادمتها كاثي.

«كل هذا بسبب زيارة حفيدك...».

«اخرسي كاثي» قاطعتها السيدة بجفاف.

«انا اقلق فقط على صحتك، ككل خدمك».

«كلكم طيبون» اجابتها السيدة بسخرية «اطمئنوا لم يبق لي، بالتأكيد، ايام طويلة... بامكانك الذهاب الآن كاثي».

- ٩ -

اخفضت كاثي نظرها وغادرت الغرفة. بينما ظلت لورنا الى جانبها. يبدو انها ستدفع غالياً ثمن عنادها.

بعد قليل على سريان مفعول الدواء اختفت كل عوارض الازمة القلبية التي اصابت السيدة فقررت لورنا ان لا تضعف وان تمسك زمام الامور بيدها.

«انت لن تتمكنين سيدتي من ارغامي على قبول أية هدية منك».

تأملتها السيدة بعيونها الخارقة.

«عندما اعلنت لي عن رغبتك بالرحيل. لم استطع مقاومة هذه الصدمة، لا يمكنني الاستغناء عنك، لورنا. إبقي ارجوك...».

«انت لست بحاجة لي!».

www.elromancia.com

«بلى، لورنا بلى... انت لا تعرفين لاية درجة!».

«احب ان اعرف السبب».

«لقد اعتدت عليك. انا عجوزة ولم يبق امامي الكثير...» اجابتها بصوت متوسل.

ترددت الممرضة قليلاً. اذا رحلت، لن ترى كريغ ابداً. هل تترك فرصة نقاش صريح معه وتشرح له موقفها من هذا البروش؟ اذا لم تفعل، فانها ستندم طوال حياتها.

«لماذا اخبرت حفيدك بأمر هذا البروش كان يبدو غاضباً جداً...».

ظهرت الدهشة على وجه اللايدي. وأدركت اخيراً سبب قرار لورنا.

«لدي... اسبابي الخاصة». ثم ترددت قليلاً وأضافت: «ابسبب غضب كريغ، قررت الرحيل».

«انا افهم موقفه جيداً، لا يجب عليك تقديم مجوهرات العائلة لأحد غريب...».

«من تكلم عن غرباء؟ كما وانه لا يمكن لأحد ان يملي علي تصرفاتي حتى حفيدي»، اجابتها غاضبة.

«سيدة لاموند، حاولي ان تدركي حقيقة الموقف دون ان تصابي بوعكة اخرى!».

«اترغبين حقاً بالرحيل عني، لورنا؟» سألتها بضعف.

«يجب ان اعلم بحقيقة نواياك، سيدتي».

«انا بحاجة لك، يا ابنتي...».

«التعقل يفرض علي الرحيل، لكنني سأبقى لبعض الوقت...».

انفرجت اسارير اللايدي، واختفت التجاعيد فجأة، عن وجهها، لم يكن يخطر ببالها ان جواب لورنا الأخير مرتبط بحفيدها. فنظرت اليها الممرضة بدهاء وقالت في نفسها: «لكل منا سره الخاص».

بعد العشاء، ذهبت الى البحيرة علها ترى كريغ لكنه لم يكن هناك، فاتجهت بخطوات حازمة نحو قصره، فتح لها الخادم الباب وتفاجأ برؤيتها.

«لو سمحت، اخبر السيد لاموند ان الآنسة ودروي ترغب برؤيته».

قادها الخادم الى الصالون ثم اختفى. بعد دقيقتين فقط دخل كريغ الى الصالون ونظر اليها بحدة.

«ماذا تريدين؟ لماذا جئت؟ ليس لدي وقت لاستقبالك» قال باحتقار.

شحب وجه الفتاة ولم تتمكن من لفظ اية كلمة، امام صمتها، تخيل كريغ وقوع امر خطير.

«هل جدتي بخير؟ ماذا حصل؟» سألها بقلق.

«اطمئن، انها بخير»، تمتمت ورفعت نظرها نحوه.

بدت عليه الراحة، وانفرج وجهه. «اذاً ماذا جئت تفعلين هنا؟ انا لا افهم...».

«كنت اريد ان اشرح لك امر ذلك البروش... لقد... اعدته للسيدة لاموند».

اكتفى كريغ بأن هز كتفيه وعرض عليها ان يرافقها حتى الباب.

«لا ضرورة لذلك». قالت له بلهجة حادة.

«انا اعرف الطريق». وخرجت بسرعة لتخفي دموعها التي انهمرت على خديها. لم يحاول كريغ الامساك بها، بل اغلق الباب على الفور. فهربت وهي تركض في الظلام.

لماذا لم يترك لها مجالاً لتفسير الموقف نظرة واحدة الى عينيه المليئة بالاحتقار، جعلتها تخرج مسرعة دون القيام بمحاولة اخرى لإظهار براءتها. ولكن كان يجب عليها ان تتوسل اليه كي يتوقف عن تعذيبها بشكوكه التي لا اساس لها.

عادت الى غرفتها ورمت نفسها على السرير كالتمثال الحجري. توقفت عن البكاء، ولم تعد ترتجف. واحست فجأة بأن قلبها يموت بين ضلوعها.

في اليوم التالي، ذهبت الى موعدها الأخير مع جف في مقهى البلدة. كان الشاب يبدو حزيناً لفكرة عودته الى لندن.

«لا تعذب نفسك، جف. بعد ايام قليلة من عودتك، لن تعد تفكر بي، ستعتاد من جديد على نمط حياتك وعملك...».

«ليتني لم آت، ولم التق بك» قال وهو يتنهد بأسى..

«لقد تعلقت بك كثيراً لورنا. لا يمكنني القول وداعاً... اتسمحين لي بالكتابة لك؟».

«اعتقد انه لا ضرورة لذلك، جف».

«هل رأيت كريغ. منذ بعد ظهر الأمس؟».

«نعم، مرتين».

«مرتين؟» سألها وهو لا يصدق.

فشرحت له باختصار سبب لقائها مع اللورد، وحاولت ان تتكلم بهدوء كي لا تثير غضب جف اكثر على اللورد.

«لقد تحملت هذه اللايدي اللعينة كثيراً، لورنا. لماذا لا تعودين الى لندن وتستعيدين عملك في المستشفى؟».

«لا، جف. لا استطيع، ليس الآن». اجابته وهي تهز رأسها بحزن.

في اليوم التالي، كان الطقس جميلاً، فارتدت لورنا ثوبها القطني الأزرق وعقدت فولاراً ابيضاً على كتفيها. وبعد تناول الفطور، دخلت الى غرفة اللايدي، وقرأت لها لمدة ساعة. ثم لجأت الى غرفتها، وكتبت رسالة لعمتها ولبعض زملائها السابقين في المستشفى.

بعد ان انتهت من رسائلها، نزلت من جديد واعطتها لكاتي كي تضعها في بريد القرية في طريقها.

«الآنسة لديها موعد هام؟» سألتها كاتي بفضول عندما رأت اناقتها.

«هذا ممكن». اجابتها باختصار وتوجهت الى غرفة اللايدي وقضت معها بعض الوقت ثم استأذنت.

تناولت الغداء وحدها في غرفة الطعام، وخرجت سالكة الطريق المؤدية الى منزل صديقتها جاني.

«اهلاً، لورنا». رحبت بها جاني بفرح، وهي تفتح لها باب المنزل.

«كنا ننتظرك بفارغ الصبر، ادخلي! انا وابي انتهينا من اعداد الشاي. سأقدم لك والدتي».

www.elromancia.com

كانت السيدة ماك فارلان طويلة نحيفة، شعرها اشقر ترفعه عالياً. ملامحها رقيقة تدل على رقتها وذكائها.

استقبلت ضيفتها بابتسامة حارة، واعتذرت عن وضاعة منزلها.

«لابد انك معتادة على نمط آخر من الحياة، في منزل والدتي». قالت لها بدون حقد.

«للحقيقة، انا لا احب المنازل الكبيرة» اجابتها لورنا بكل بساطة.

وكان المنزل، رغم صغر حجمه وديكوره البسيط، مرتب بذوق يبعث الراحة في النفوس على خلاف قصر اللايدي وقصر حفيدها الذين يشعر المرء داخلهما بالجمود والغربة.

عادت جاني من المطبخ تحمل قالباً من الحلوى.

«انه من صنع والدتي، سيعجبك حتماً».

ثرثر الجميع بمرح، واحست لورنا بحرارة هذا الجو العائلي الذي تفتقده كثيراً. السيد ماك فارلان كان قليل الكلام يستمع بهدوء لثرثرة النساء.

«ابي بربري قليلاً». قالت لها جاني وهي ترافقها الى الخارج.

«لكنه اكثر الرجال الذين التقيتهم سحراً، باستثناء دوغ، طبعاً» قالت لها بمكر.

«ما رأيك بوالدتي؟».

«والدتك مختلفة جداً عن السيدة لاموند! انها رقيقة وبسيطة...».

«والدتي ملاك! وانا سعيدة لأنها لا تشبه جدتي!» ظهر

الحزن فجأة على وجه جاني.

«احياناً اشعر بأنني اطلب منها صدقة عندما اذهب الى قصرها... لو تعلمين كم اني لا ارغب بمالها! افضل العيش في الفقر مع الرجل الذي احبه على الموت ببطء في قصر خال من الحب».

اتلمح لقريبها؟ لم تتمكن لورنا من طرح السؤال لأن جاني اضافت بمرارة:

«لكن والدتي تصر على ان اعيش حسب طبقتي. لن تتحمل فكرة ان تحرمني جدتي من الميراث بدوري». ثم سكتت كعادتها وانتقلت لموضوع آخر.

«سمعت ان جدتي اصيبت بوعكة صحية...».

«لا خطورة، جاني، اطمئني، سأذهب الآن، لأنني وعدتها بالقراءة لها قبل ان تنام».

«انت تهتمين جيداً بها، لورنا».

«انه واجبي».

«لكن كريغ يقول بأن...».

«ماذا؟» قاطعتها لورنا بحدة.

«اوه! لا شيء».

«بدون شك، قريبك يقول بأنني اقبض راتبي دون القيام بأي عمل، اليس كذلك؟».

«لا تطرحي علي اي سؤال عنه، لورنا، ارجوك. لقد سبق وشرحت لك: انه متعال متعجرف، لكنه ليس سيئاً كما تتصورين!».

«انه محق تماماً بما يخص عملي...» قالت لها

بابتسامة شاحبة.

«لقد لاحظنا انا ووالديّ انه تغير قليلاً منذ وصولك. يبدو وكأنه يعلم اشياء عنك يرفض الكلام عنها».

«هذا ما يفسر حقده علي الذي لا مبرر له».

دخلت لورنا الى غرفة اللايدي فور وصولها.

«هل امضيت وقتاً جيداً عند ابنتي؟».

«نعم».

«التخلي عن ثروة لاموند! كيف يمكنك فهم شيء مماثل! انها مجنونة!».

«سيدة لاموند، انا لست من رأيك. اعتقد ان آل ماك فارلان هم اناس رائعون». اجابتها بتحد.

«!! اجدك وقحة في هذه الأيام، يا صغيرتي... و...

- ١٠ -

لم تتمكن من انهاء كلامها، لأنها سقطت على الأرض وهي تحاول النهوض وصرخت وشحب لونها بسرعة.

لم تكن هذه ازمة خفيفة، لاحظت الممرضة بعد ان فحصت قلبها. ومن باب الصدفة الدائمة، كانت كاتي خلف الباب.

«ابحثي عن السيد لاموند». صرخت لورنا بحدة عندما لاحظت انها تتجسس كعادتها.

«هيا اسرعي واخبري حفيدها، قد يكون الأمر خطيراً هذه المرة..».

ثم امسكت الهاتف وطلبت الطبيب بنفسها. فوصل بعد عشرة دقائق فقط، بعد وصول اللورد كريغ بدقيقتين، تبادل معه الكلام على انفراد بعد ان كشف على اللايدي.

www.elromancia.com

«يجب ان ترتاح قليلاً». قال كريغ للورنا بعد ذهاب الطبيب.

«وان تبقى في السرير بضعة ايام...».

«لا مجال لذلك!» اعترضت الجدة.

«انا مريضة، وانت تعرف الأسباب، كريغ، الأدوية لا تنفعني، انت تعرف هذا جيداً».

ادار الشاب وجهه بعصبية، وهمت لورنا بمغادرة الغرفة عندما خرج كريغ عن صمته والتفت نحو كاتي.

«كاتي، انتبهي الى السيدة، ارجوك». ثم التفت نحو لورنا.

«اريد ان اكلمك قليلاً». قال بصوت متردد.

«حول اي موضوع؟» سألته اللايدي بفضول.

«بأمر يخصني يا جدتي» قاطعها بجفاف.

«سنعود بعد خمسة دقائق فقط». ثم خرج من الغرفة بسرعة وهو يمسك بذراع لورنا.

«لنقوم ببضعة خطوات في الحديقة. هذا المكان يصيبني بالصداع».

«كيف تجرؤ على الكلام مع سارقة؟ ولماذا؟» سألته بسخرية.

«لدي شيء هام اقوله لك، واخشى ان تتجسس علينا كاتي» اعترف بهمس.

عقدت لورنا حاجبيها وتساءلت ماذا يخفي يبدو موقفه اشد غرابة من سابقه، عندما رفعت رأسها، لاحظت ابتسامة على ثغره فقفز قلبها بين ضلوعها. فاخفضت نظرها

بسرعة وتوردت وجنتاها. يبدو انه سيكشف لها عن شيء مهم.

توقف كريغ، وامسك يدها بلطف.

«انا آسف جداً على ما حصل بيننا ذلك المساء، لورنا، أسأت التصرف بالنسبة لقصة البروش. بعد رحيلك، لمت نفسي كثيراً. كان يجب ان انا ديك... واقدم لك اعتذاري...».

وطبع قبلة على رؤوس اصابعها الرقيقة قبل ان يضيف:

«هل ستسامحينني اليوم؟».

لم تستطع الكلام، كانت لا تزال تحت تأثير الدهشة.

«انا... اعتقد... انني سأسامحك». قالت متلعثمة.

«انا لا اكف عن التفكير بك، لورنا اتريدين ان تصبحي زوجتي؟».

همت بالكلام، لكنه تناول شفتيها بقبلة معبرة اكثر من الكلمات عن حبه ورغبته بها وحاجته لها، استجابت لعناقه بحرارة بينما كانت هذه الجملة ترن في رأسها بشكل سحري: «اتريدين ان تصبحي زوجتي؟» لا يمكنها تصديق وقوع مثل هذه المعجزة...

«انت متأكد، كريغ؟ اترغب حقاً... بالزواج مني؟ لكنك كنت في البداية تكرهني...».

وضع يده على فمها ومنعها من المتابعة:

«لنبدأ من الصفر، لورنا، انسي ذلك الفظ الذي كنته كل هذا من الماضي. حبنا مهم وانا اعلم انك تحبينني قرأت ذلك في عينيك...».

كم هي جميلة هذه الكلمات! رغبت لورنا بأن تغمض عينيها وتتركه يهدهدها حتى آخر أيامها. لم تفكر بسؤاله عن صدق اعترافه. كريغ يحبها وهي لا يمكنها ان تخرس صوت قلبها الذي ينبض بحبه.

فجأة تذكرت تحذيرات جف، وكانت على وشك ان تسأله عندما احست بذراعيه يضمانها من جديد، وبفمه يطبق بصمت على شفتيها. احست بدوار ولم تعد تعرف اين هي باستثناء القبلات الحارة.

«لورنا، ارجوك، ضعي حداً لكابوسي، اسمحي لي ان اتزوجك».

فليذهب جف وتحذيراته الى الجحيم! كريغ لا يمكنه ان يخونها، خاصة وانه يريدها زوجة له!.

«حبيبتي، انا انتظر جوابك». توسل اليها وهو يهز كتفيه بلطف.

«اوه، كريغ! انا سعيدة جداً. ولكن...» فضمها اليه اكثر، واحست بضربات قلبه.

«سنتزوج سراً في كنيسة اجدادي التي تزوج فيها كل آل لاموند».

«لماذا يجب ان نتزوج... سراً؟» سألته بدهشة.

«بسبب جدتي. انها لن توافق على هذا الزواج. لكننا سنضعها امام الأمر الواقع وهكذا تضطر للقبول. انت تفهمين، اليس كذلك لورنا يا عزيزتي؟» قال وهو يداعب عنقها وكتفيها.

«لماذا ستعارض؟».

«لأنها تريد ان تزوجني من قريبتي جاني، يجب ان نتزوج، رغم اعتراضها».

«ولكن لا يمكنني التخلي عنها في هذا الظرف. قد تتعرض لأزمة قلبية اخرى».

«الا ترين كيف تبتزك؟».

«سأشعر بالمسؤولية، اذا حصل لها مكروه».

«على كل حال، لن تتحقق امنيتها. انا لا احب جاني، وهي لا تحبني. انت من اريد الزواج منها، وبأسرع وقت».

«لكنني لا املك ثروة ولست من طبقة اجتماعية..».

«هذا كل شيء». سألها بين الضحك والغضب ثم اسكتها بقبلة تترجم فقدان صبره.

«المهم، انك تحبينني!».

«لست ادري ماذا اقول، كريغ، لم اكن اتوقع مثل هذا الطلب. كما وانني لم اكن اتخيل انني سأتزوج في السر».

«نعم، فهمت. انت ككل النساء، تحلمين بثوب ابيض وحفل يضم الأقارب والأصدقاء... حبيبتي المسكينة».

وداعب خدها بحنان: «افهم خيبة املك... ولكن هل هذا مهم لهذه الدرجة؟ الأحاسيس وحدها المهمة، اليس كذلك؟». ودس رأسها في كتفه وداعب شعرها بحنان.

استسلمت من جديد لعناقه واحست بشكوكها تذوب كالثلج تحت تأثير حرارة جسده.

وهكذا، فعلت لورنا كل ما طلبه منها... يوم الزفاف، تغير الطقس، وامتلأت السماء بالغيوم. تأملت لورنا نفسها

امام المرآة، وبيد مرتجفة وضعت احمر الشفاه. كانت تشعر بتوتر شديد.

مع انها كانت سعيدة جداً لفكرة الزواج من الرجل الذي تحب. الا انها لم تكن قادرة على التركيز. الم يفعل كريغ كل ما بوسعه لاقناعها بالزواج منه؟.

الم يستعمل كل سحره وجاذبيته لاغراقها تحت امواج العقل ويمنعها من مناقشته؟ كيف كانت ستتمكن من مقاومته؟ بالمقابل، كانت تشعر بقليل من الخيبة للتسرع في الزواج ولسريته.

وكان كريغ قد وعدها بالسفر لقضاء شهر العسل في الخارج حيث يمكنه ان يشتري لها كل ما تحتاجه. واكتفى بأن اشترى لها من هنا خاتم الزواج فقط.

تم اعلان الزواج في كنيسة العائلة بوجود شاهدين من خدام قصر كريغ. لم يتلق العريسان الأزهار ولم ترافق المباركة الحان موسيقية... وكانت العروس ترتدي ثوباً ابيضاً عادياً بدون اكليل وبدون تطريز.. وتنهدت وهي تتذكر مجلات ازياء العرائس التي كانت تتصفحها مع صديقاتها في المدرسة.

احست انها اصبحت زوجته عندما دس الخاتم باصبعها، وانحنى وطبع اول قبلة زوجية على ثغرها.

بعد عشرة دقائق فقط. كانت تخرج وقلبها مليء بالفرح تتأبط ذراع زوجها، في منزل الزوجية. سكب كريغ الشمبانيا وقدم لها كأساً.

«لنشرب نخب حبنا، لورنا، اتمنى ان يسير كل شيء

على ما يرام».

«ماذا تقصد...؟».

«اشربي نخب المستقبل» قال بابتسامته الساحرة، ولكن عيونه كانت تعكس دهاءً وخداعاً اقلق الزوجة الشابة.

«انا لا افهمك». قالت وهي تضع كأسها جانباً دون ان تشرب منه شيئاً.

«ماذا حصل كريغ؟ تبدو مختلفاً فجأة...».

انحنى نحوها وطبع قبلة على جبينها.

«اعذريني، انا غريب الأطوار، يجب ان تعتادي على هذه الناحية من شخصيتي».

«لم الاحظ ذلك من قبل».

تناولت كأسها وشربته وهي تنظر الى زوجها بطرف عينيها. وتذكرت كلمات جف فارتعشت رغماً عنها.

«ما بك، لورنا؟» سألها بهدوء.

«لا شيء... انا متوترة قليلاً...».

ضحك ضحكة غريبة واقترب منها وداعب شعرها الذهبي بلطف:

«انت جميلة جداً يا حبيبتي. بامكاننا الصعود الى غرفتنا، ولكن لدينا متسع من الوقت. يجب علينا، للأسف، ان نواجه جدتي، قبل كل شيء».

«اخشى ردة فعلها كثيراً. ستكرهني بدون شك».

«وانا ايضاً» قال بسخرية.

«ادخل» قالت اللايدي وهي تقف قرب النافذة.

عندما رأت اناقة ممرضتها، شدت شالها الأسود حول

كتفيها النحيلين وقالت:

«يا الهي، آنسة ودروي؟ من أين انت قادمة؟ وكأنك كنت في حفلة! تفضلي بدلي ملابسك و...».

ثم توقفت عن الكلام بذهول عندما رأت كريغ يظهر خلف لورنا.

«انت ايضاً، انيق جداً، كريغ... ماذا حصل؟ اريد ان اعرف؟».

«الحفلة التي تكلمت عنها يا جدتي، كانت حفلة زفافنا»، قال بلهجة طبيعية، ثم امسك يد زوجته واضاف:

«انا اعلم كم تحبين وصيفتك، ولهذا انا متأكد انك ستكونين سعيدة باعتبارها حفيدة لك ايضاً».

- ١١ -

«تجرأت!» صرخت اللايدي بصوت مرتجف.

«كيف استطعت ان تعصاني وتدمر كل امالي!» وتشنجت اصابعها على شالها وتطاير الغضب من عيونها.

«انتبهي لما تقولينه». قاطعها كريغ.

«لورنا وانا متحابان ولن يفرق شيء بيننا!».

«خيانة شائنة! لماذا لم تخبريني عن نيتك بالزواج من حفيدي؟؟» سألت اللايدي بجفاف.

«ما كنت لتوافقي!» اجابها كريغ بدلاً عن زوجته..

«الم تعلمي عن رغبتي بتزويجه من جاني؟».

«لم تكن جاني لتقبل بزواج المصلحة هذا» اجاب كريغ من جديد بدلاً عنها.

«لم يكن احد ليطلب رأيها. انها في السابعة عشرة

www.elromancia.com

و. . . ».

نحن لسنا في القرون الوسطى!» انفجر كريغ غاضباً.

«يحق لجاني ان يكون لها مشاعرها الخاصة».

«لا بد انك راضٍ الآن. فعلت ما تريده وعاندتني».

ثم التفتت نحو لورنا: «اعتقد انك ستتركينني، اليس كذلك؟».

قبل ان تتمكن الممرضة من الإجابة، سمعت صوت زوجها الحاد.

«بالتأكيد! لا اريد ان تعمل زوجتي! مكانها في القصر، بجانبي».

يا له من مستبد! قالت الزوجة الشابة لنفسها وقد لاحظت منذ اليوم الأول على زواجها انها لم تكن سوى دمية متحركة بين يدي الرجل المتعجرف المسيطر. . .

بعد ساعات، كانت لورنا ترتب اغراضها في غرفتها، بينما تغيب كريغ طوال فترة بعد الظهر لأنه استدعي ليفحص احد الخيول المصابة في مزرعته الكبيرة.

كانت تشعر بالقلق مع انها يجب ان تكون سعيدة ومشرقة في هذا اليوم بين ذراعي زوجها الذي سيحملها الى السماء السابعة. . .

لكن الرجل الذي كان يبدو شديد القلق وهو يحاول اقناعها بحبه، يكرس الآن كل وقته لحيوان جريح.

جلست على الكنبة في غرفتها تتأمل هذا السرير الواسع المغطى بشرشف من المخمل المتناسب مع البرادي الحريرية.

احست بالضياع وسط هذا الجو من الثراء فقررت ان تأخذ حماماً يساعدها على الاسترخاء.

كانت غرفة الحمام سمفونية من اللون الأزرق والذهبي لا ينقصها اي شيء من اساليب الراحة الحديثة: البانيو الواسع، الموكيت السميك، الموسيقى الهادئة. . .

اختارت الثوب الذي كانت ترتديه في المساء الأول الذي تبادلا فيه القبلات. وتركت شعرها مسترسلاً على كتفيها لأن كريغ كان يحب ملمسه.

«ايمكنني الدخول، لورنا؟». انتفضت عندما سمعت صوت كريغ فجأة.

«ادخل كريغ. تبدو قلقاً مهموماً!».

«لا شيء». اجابها بجفاف.

«لا شيء يخصك، على كل حال. . .».

«ولكن. . .».

«كيف وجدت منزلك الجديد؟» قاطعها بجفاف.

«هل رتبت اغراضك؟».

«نعم» تمتمت وهي على وشك البكاء.

لاحظ كريغ، ارتباكها، فاقترب منها بهدوء.

«هيا، لورنا» همس وهو يضمها بين ذراعيه، «ماذا حصل؟».

«انا مضطربة، ولست مرتاحة حيث انا» قالت واجهشت بالبكاء.

«يجب ان اكون اسعد النساء لكن. . .» رفعت عينيها فلمحت في عينيه قسوة.

«انا احبك، كريغ، لكنني لست ادري اذا... كنت حقاً تحبني».

«ايتها الغبية». قال بسخرية.

«ستعرفين بعد قليل، لا تقلقي».

ابتسمت لورنا رغماً عنها وتساءلت لماذا يبدو فجأة بعيداً؟ اذا كان لديه مشاكل في عمله، لماذا لا يشاركها اياها؟ فهي زوجته، ويجب ان يثق بها.

تناولا العشاء في الساعة السابعة. جلس كريغ صامتاً وترك الخادم يهتم بزوجته. كانت نظراته شاردة كمن يستعد سراً للانتقام.

بالرغم من العشاء اللذيذ الشهي، اكلت لورنا بأطراف اصابعها دون شهية.

«تخلي عن قلقك، لورنا، ستعتادين بسرعة على هذا المكان..».

«لكني اشعر بأنه ليس مرغوب بوجودي هنا» قالت لنفسها.

«ليتني استطيع الاسترخاء». قالت وهي ترفض كأس النبيذ بأدب.

«قد تكونين لاتزالين متأثرة بلقائنا مع جدتي؟».

«بدون شك... اشعر بتأنيب الضمير لأنني تركتها هكذا... بالتأكيد لن توجه لي الكلام بعد اليوم» قالت بحزن.

بعد العشاء، تنزها في الحديقة قليلاً، وبدا على كريغ انه استرخى بعض الشيء، لأنه كان يضع ذراعه حول

كتفي زوجته. ارتبكت الفتاة واحست بانها لم تعد قادرة على تمالك نفسها.

كانت قبلة كريغ حارة وحنونة. وكأن هذا المكان يذكره بحبه لها.

«تعالي، يا حبيبتي...» قال بصوت يرتجف من الرغبة.

«لندخل، لقد اصبح الجو بارداً هنا...».

عندما خرج كريغ من الحمام، كانت قد ارتدت قميص نوم من الدانتيل، يكشف جزءاً كبيراً من جسدها.

ما إن رأت زوجها حتى احمر وجهها فاخفضت نظرها.

اقترب منها بهدوء. فارتعشت تحت نظراته التي تتوقف طويلاً امام كل منحنيات جسدها المثير.

رمى فرشاة الشعر من يدها ودعاها للنهوض، وقبل جبينها وخديها وعنقها بحرارة.

ارغب بك، لورنا، كما لم ارغب بأية امرأة اخرى».

لماذا لا يقول لها بأنه يحبها بكل بساطة؟.

ثم حملها الى السرير، وهو يردد: «اريدك، لورنا...».

رغم كل جهوده، ظلت لورنا كالجليد، غائبة، غير قادرة على حبس دموعها... ظلت مستيقظة ساعات طويلة تبكي بصمت قرب جسد زوجها النائم ملىء جفنيه.

لماذا تسرع كريغ بزواجهما؟ ولماذ يظهر احياناً فظاً معها؟ تقلبت طويلاً في فراشها ولم تنم الا مع ساعات الفجر الأولى.

في الصباح، استيقظت على نور اشعة الشمس، وعندما نزلت، كان كريغ يتناول الفطور في غرفة الطعام.

«هل نمت جيداً؟» سألها بسخرية.

فتجاهلت سؤاله وسألته بدورها: «كريغ، اريد ان اعرف لماذا تزوجتني، انا متأكدة انك لا تحبني».

«وانا متأكد انك لاحظت الحقيقة» اجابها بتهكم.

«انت امرأة ذكية جداً لا يمكن ان تخدعك خطتي».

كادت لورنا ان تختنق بقهوتها الساخنة.

«خطـ خـطتك...».

«لا تتظاهري بالبراءة، انت تعرفين جيداً عما اتكلم».

«لا، اؤكد لك، اوضح كلامك». توسلت اليه وقد شحب وجهها.

«طلبت منك الزواج مني لامنعك من ان ترثي ثروة جدتي. انت لا تجهلين انها كانت على وشك ان توصي لك بكل املاكها. اليس كذلك؟ منذ ايام، رأت محاميها لتغير وصيتها. شخصياً. انا لا اهتم بهذا الميراث، لكنني كنت مصمماً على قطع الطريق عليك، مهما كلف الثمن. خطتك الجهنمية لم تكن تعجبني. لا يمكنني تحمل فكرة ان ترثي حصة ونصيب جاني. انا احب خالتي وزوجها كثيراً، رغم اخطائهما الماضية واجد انه ليس من العدل ان لا ترث ابنتهما شيئاً بسببك».

كان يتكلم بقسوة وقد صمم على دفن لورنا التي لم تستطع لشدة ذهولها ورعبها من التلفظ بأية كلمة.

«الآن، جدتي مجبرة على تعديل وصيتها، لأن كل ما

ستتركه لك سيعود لي ايضاً، بعد وفاتها... لكنني اعرف انها لن تمنحني اي فلس. لأنني عصيتها برفضي الزواج من جاني. كل شيء اذاً سار حسب مخططي بدقة. جاني بحصولها على الميراث تكون قد اعادت الحق الذي حُرمت منه والدتها سابقاً.. وانت المخادعة، لن تحصلي على شيء!».

رغبت لورنا في ان ترمي فنجان القهوة في وجهه لكنها لم تستطع. كان الجو خانقاً ونظراته قاتلة.

«هذا كل ما كنت اظنه بك، آنسة ودروي... انت لست سوى مغامرة سافلة كانت تركض خلف ميراث زوج غني».

«انت مخطىء تماماً» صرخت من اعماق نفسها المجروحة.

«دعني على الأقل اشرح...».

«لا ضرورة لذلك! خطيبك السابق اعطاني كل التفسيرات الضرورية». اجابها بصوت حاد كالخنجر.

«يجب ان تلعنيه لأنه مزق قناع خداعك واظهر حقيقتك. كنت تطمحين بالعيش كاللايدي، اليس كذلك؟ عندما عرض عليك جيلبرت هذا العمل، لم ترددي بترك كل شيء للمجيء الى هنا بحثاً عن الثراء. كنت تعرفين مدى محبة جدتي لك... كانت الفرصة مناسبة وطموحك لا حد له».

لا هذا كثير... لا يمكن ان يكون كريغ شريراً لهذه الدرجة. فلم تستطع حبس دموعها التي تحرق عينيها اكثر.

«كل تصرفاتك كانت مدروسة لتحقيق غاياتك. حتى اعادة البروش الى جدتي! انت حقاً قوية جداً، لا تحاولي الظهور بمنظر الشهيد». قال لها بدون رحمة.

«لن تمنعيني من قول كل ما لدي ضدك. انت ادعيت بانك تحبينني، لكنك عندما طلبت الزواج منك، ترددت، خوفا من ردة فعل جدتي...».

- ١٢ -

من جديد، فتحت لورنا فمها لكنها لم تستطع الكلام. ماذا تقول لهذا الرجل الذي يتهمها بهذا الشكل؟ لابد انه متواطىء مع جيلبرت لافقادها عقلها!.

الم تكن تكفيها خيبتها العاطفية الأولى؟ لقد كان جف محقاً، لم يكن يجب عليها ابداً ان تثق بهذا الرجل ولا بجدته.

«توقف، كريغ، لا اريد ان اسمع شيئاً! انت دنيء سافل».

«اهذا كل ما لديك لتقولينه دفاعاً عن نفسك؟ كنت آمل استسلاماً اسرع...».

«اريد ان افكر بوضعي»... رمته بسخرية.

«الى ماذا تلمحين؟ انت لن ترحلي عني؟» سألها

www.elromancia.com

بدهشة.

«لم افكر بذلك بعد، طبعاً، ولكن هذا احتمال وارد...».

«لا يحق لك بذلك، نحن متزوجان...» قال فجأة وقد بدت الحيرة على وجهه.

«لن اطلب عندئذ اذنك، سيد لاموند، لا يمكنك ان تحبسني الى الأبد في قصرك، نحن لسنا في القرون الوسطى!».

وبدأت تتذوق انتقامها، وقررت ان لا تضعف.

«تصور يا عزيزي. انه اذا لم تكن تحبني، فالأمر سيان بالنسبة لي! سأرحل دون ان اشعر بالندم».

وحاولت جهدها كي تتظاهر باللامبالاة رغم المها.

«بما انني كنت اطمع بالمال، كان يجب ان ترى ابعد من منخريك. بالنسبة لي انا درست كل شيء»... ثم نظرت مباشرة بعينيه.

«اذا تركتك، سأطلب الطلاق، وكل تعويض يحق لي... وانت ستقبل، على ما اظن، انت لن تتعلق طيلة حياتك بمغامرة اهانت اسم لاموند!». ثم سكتت، وانتظرت ردة فعل زوجها التي لم تكن متوقعة.

«هذه سفالة!» انفجر غاضباً.

«ماذا كنت تنتظر من مخلوقة عديمة الاخلاق والذمة؟ كما وانني قد ارغب باخبار جدتك بكل شيء... اعتقد انها لن توافق على تصرفك...».

امسك كريغ ذراعها بعنف: «اذا فعلت هذا، اعدك

بأنك ستندمين كثيرا». صرخ وقد فقد تمالك نفسه.

بقية النهار، حاولت لورنا ان تتأقلم مع الحلم الذي اصبح كابوساً. ولعنت جيلبرت الذي بسببه تجد نفسها في هذا المأزق، لقد تمكن من تحطيم قلبها مرتين.

«شعرت ببعض الراحة عندما استدعي كريغ الى احدى مزارعه. فحبست نفسها في غرفتها محاولة ايجاد حل لوضعها. لقد كان جف محقاً عندما اكد لها ان خطيبها السابق خدع كريغ، واخترع اكاذيب. كانت هي السبب في تصرفات كريغ القاسية معها منذ البداية.

كان كريغ مقتنعاً منذ اليوم الأول بنواياها المخادعة للوصول الى ارث العائلة. لو انه فسح لها مجالاً لكانت شرحت له سبب مجيئها وقبولها بهذا العمل بعد خيبتها العاطفية وفقدانها لعائلتها بنفس اليوم.

لكنه كان مقتنعاً بكلام صديق طفولته، ولا يهمه منها سوى جسدها.

لن تستسلم للقدر القاسي، لديها مهنتها، ستبحث عن عمل في احد المستشفيات، فالعمل وحده يساعدها على النسيان، كما وانها ستبحث عن منزل خاص بها، لن تيأس ولن تبكي امام كريغ ابداً.

عاد كريغ وقت العشاء، فتظاهر بأدب يقتضيه الظرف الحالي.

«هل كان نهارك جيداً».

«تقريباً، يبدو ان الحصاد سيكون جيداً». اجابها بجفاف.

«هل رأيت جدتك؟».

«لماذا تطرحين هذا السؤال؟» سألها ولمعت عينيه بالغضب.

«هل ذهبت الى الدوير هاوس؟».

«لا، ولكني اعتقدت انها ترغب برؤيتك..».

«زرتها بعد ظهر الأمس».

«هل اعترفت لها بانك تسرعت بالزواج مني خوفاً من تغيير وصيتها...».

بالتأكيد لا. كررت لها اننا متحابان... وصدقت ذلك».

«انت ساذج، كريغ، انا مقتنعة ان اللايدي فهمت لعبتك... اذا كلمتها عن طلاقنا، ستجعل مني من جديد وريثتها الوحيدة».

كانت تكره نفسها لأنها تحاول الظهور بهذا الشكل المادي، لكنها بنفس الوقت كانت تتلذذ بانتقامها. طالما انه، على كل الأحوال لم يكن يحبها، فقلما يهمها ما تبقى...

«لقد نسيت شيئاً، ايتها الخبيثة». قال لها بسخرية.

«انا لا افهم لماذا قبلت الزواج مني، مع العلم ان ثروة جدتي كانت ستضيع منك بالتأكيد».

«لم اكن لأخسر شيئاً، مهما حصل. يبقى لي ايضاً نصف املاكك». اجابته محاولة رد الضربة بالضربة.

«هذا ليس سيئاً، كنت سأكتفي به، انت تعلم!» تفاجأ اللورد بجوابها.

«اذاً انت لم تحبيني ابداً... كل ذلك كان تمثيلاً!» صرخ باحتقار.

«الم تستغلني بطريقة اكثر سفالة؟». اجابته بجهد كبير.

بدا على كريغ انه على وشك الاعتراف بشيء ما. فالتفت نحوها، ونظر اليها نظرة غريبة ثم ضمّها اليه.

«لا كريغ، ارجوك، دعني». وحاولت التراجع لكنه منعها وهزها بعنف.

«انت جميلة جداً، ومثيرة. كيف يمكنك ان تكوني منحلة بهذا الشكل؟ جئت الى هنا بحثاً عن الثروة، ستحصلين عليها، لكن يجب ان تدفعي الثمن». صرخ مهدداً.

«ثم حبسها بين ذراعيه الفولاذيتين. فأغمضت عينيها كي لا ترى التعابير المتوحشة على وجه زوجها.

في هذه اللحظة، دخل الخادم.

«ماذا تريد؟» سأله كريغ بحدة.

«لماذا تزعجني؟».

«عفواً سيدي، لم اكن اعرف انك هنا، جئت لأقول للسيدة ان العشاء اصبح جاهزاً».

«شكراً جايمس» تدخلت لورنا.

«ستتبعك».

اثناء تناول العشاء، اجاب كريغ بكل سرور عن اسئلة زوجته حول املاكه الواسعة، فكلمها عن مزارعه وزراعته الناجحة.

«سأدخل الى مكتبي قليلاً لأنهي لائحة اجور العمال،

لن اتأخر كثيراً. . .» قال لها بعد العشاء.

نظرت اليه وهو يبتعد وشعرت بانقباض غريب في قلبها. لم يكن بامكانها ان تنكر حبها له. منذ قليل، لو لم يدخل الخادم جايمس، لكانت استسلمت له. صعدت الى غرفتها، ووقفت امام المرآة محاولة أن تتعقل. لكن دموعها انهمرت بغزارة على خديها. رغم كل ما حصل، هي تحب هذا الرجل حباً لم تعرفه من قبل. ماذا تفعل، طالما انه لا يحبها؟.

الافضل ان ترحل. ولكن إلى اين؟ الى لندن حتماً، لحسن الحظ، لم تكن قد كتبت لأحد عن زواجها. بامكان عمتها ان تأويها بضعة ايام ريثما تجد شقة. . . فهي لا تزال تحتفظ بالمال الذي قبضته بدلاً لأتعابها من اللايدي. ستبحث عن عمل في مستشفى آخر، لأنه لا يمكنها رؤية جيلبرت ابداً. . . .

لو انها تملك القوة لمصارحة زوجها بكل شيء. لن يحبها طبعاً، لكنها قد تكسب احترامه، ويمكنه ان ينصحها. للأسف. هي نفسها ايضاً وضعت نفسها في موقف لا مخرج له وتصرفت معه بتحد جعله يتأكد من دهائها.

كم سيدوم عذابها؟ فكرت وهي تجلس امام النافذة. دخل كريغ بهدوء وتأمل باعجاب الجسد الرشيق للمرأة، التي تدير له ظهرها. اقترب ووضع شفتيه على كتفها العاري.

«عزيزتي» تمتم هامساً.

«انت جميلة جداً. هذا المساء، اريدك كلك لي. . .».

«من تعتبرني، كريغ لاموند؟ انا لست لعبة ترميها ساعة تشاء! اذا كنت ترغب فقط بارضاء. . . رغباتك، فاذهب وابحث لك عن امرأة اخرى لا تطلب شيئاً».

«ماذا تقصدين؟» انفجر غاضباً.

«اعلم ان لديك خطيبة، هي ابنة مزارع غني في المنطقة. كيف ستتصرف خطيبتك عندما تعلم بزواجك عند عودتها من الخارج؟».

«هذا لا يعنيك!».

«بلى يعنيني، انا. . .» وعضت على شفتيها كي لا تظهر مشاعرها الحقيقية.

«هل تغارين» سألها بمكر.

«انا. . ؟ انت تمزح!» اجابته متلعثمة وقد احمر وجهها.

«هيا، لورنا. . . انا اعلم انك لا تكرهينني لهذه الدرجة». قال مبتسماً وداعب ظهرها وكتفيها.

«لا، كريغ، ارجوك». توسلت اليه وهي تحاول ان لا تستجيب للمساته.

احنى رأسه وبحث عن شفتيها. ارادت ان تقاوم، ان تصفعه. . . لكنها لم تفعل. . . فحملها بين ذراعيه ووضعها على السرير ووقف يتأملها وعيونه تلمع ببريق خطر.

«امرأة منحرفة فاسقة. . .» همس وهو يلتهمها بنظراته.

«قادرة على تمثيل دور الحب. لكنني ارغب بها بجنون. . . .».

ارعبتها كلماته من جديد، ولم تستطع سوى ذرف الدموع.

«ماذا ستفعلين اليوم، يا عزيزتي؟» سألها كريغ باحتقار عندما انضمت اليه في غرفة الطعام.

«لا شيء محدد... هل ستغيب طوال النهار؟».

«سأعود عند الظهر».

«حسناً، سأكون بعيدة جداً عندما يعود» قالت لنفسها واسرعت نحو الهاتف وطلبت سيارة تاكسي ومحطة القطار، وعلمت ان القطار المتوجه الى لندن ينطلق في الساعة الثالثة بعد الظهر.

- ١٣ -

يجب ان لا تضيع دقيقة واحدة، فصعدت الى غرفتها وكدست اغراضها في حقيبتها وارتدت ثوباً مريحاً يساعدها في السفر، كل شيء اصبح جاهزاً، لم يبق امامها سوى انتظار سيارة التاكسي.

سمعت فجأة جرس باب الدخول ثم خطوات مسرعة الى غرفتها.

«سيدتي» قال جايمس وهو يدخل مسرعاً.

«كاتي في الأسفل، لقد تعرضت اللايدي لاموند لأزمة قلبية ولا يمكننا الوصول الى السيد كريغ حالياً».

نزلت لورنا بسرعة، وعندما رأت وجه كاتي، اخذت ترتعش.

«تعالي بسرعة، آنسة ودروي... اقصد سيدة لاموند.

www.elromancia.com

السيدة مريضة جداً، وتريد ان تراك». ثم مسحت دموعها وتبعت لورنا بخطوات سريعة نحو قصر اللايدي.

بالفعل، كانت اللايدي مصابة بأزمة قلبية، وتلتقط انفاسها بصعوبة.

«وأخيرا جئت؟ كل هذا بسبب غلطتك! لقد آلمتني كثيراً... بزواجك من حفيدي». كان صوتها عميقاً متقطعاً كأنه آت من عالم آخر.

«لا تتكلمي، سيدة لاموند، انت تتعبي نفسك...» قالت لها لورنا بهدوء.

«لا يهمني. لم يبق لي الكثير من الوقت...».

«حاولي ان تستريحي. سيصل كريغ بين لحظة واخرى. لقد ذهبت كاتي للبحث عنه».

لا اريد رؤيته. لقد عصى اوامري، لن اكلمه ابداً!».

ثم اضافت وهي تنظر اليه بحقد وحنان معاً.

«لقد خدعك انت ايضاً! تزوجك فقط ليمنعني من توريثك! كان يعلم بأنني سأترك لك كل ثروتي اذا رفض الزواج من جاني. كان يكرهك منذ البداية... انه على حق، فأنت مخلوقة بدون اخلاق».

«لا داعي للغضب، سيدة لاموند، انا اعلم كل شيء. اخبرني حفيدك... انا ايضا ارى انه ليس من العدل ان احصل على كل املاكك بينما لديك عائلة...».

«لا تكلميني عن عائلتي». قاطعتها بحدة.

«حتى جاني خانتني: كاتي اخبرتني بخطوبتها من فلاح بائس! لا تستحق شيئاً، كوالدتها تماماً!».

كاتي اللعينة! لماذا تحتفظ بها اللايدي في قصرها؟.

«انت تتساءلين من سيحصل على ثروتي بعد وفاتي، اليس كذلك؟» سألتها اللايدي بسخرية.

«هذا لا يهمني سيدتي».

«سأهبها كلها للأعمال الخيرية».

«ولكن حفيدتك بحاجة لهذا المال..».

دخل الطبيب بهذه اللحظة وكشف على اللايدي باهتمام.

«هذه المرة، انا قلق جداً. قلبها تعب ونبضها غير طبيعي، سأعطيها دواءً وأراقبها حتى الغد، اذا استمرت على حالها، سأنصح كريغ بنقلها الى المستشفى».

عادت لورنا الى منزلها بعد ان تركت اللايدي بين يدي كاتي.

«سيدتي». قال لها الخادم.

«جاءت سيارة تاكسي اثناء غيابك، لكنني اخبرت السائق انه لابد اخطأ بالعنوان...».

«فعلت جيداً، جايمس». قالت له وهي تحاول اخفاء خيبتها. الحقائب!... يجب ان تفرغها قبل عودة زوجها!.

فهي لن تخاطر بإثارة غضبه، قد يستعمل العنف معها هذه المرة. ما إن انتهت من ترتيب ملابسها، حتى سمعت صوت كريغ.

«ماذا اصابها؟ حتى انها رفضت رؤيتي!».

«انها مريضة جداً، كريغ، قلبها ضعيف ولن تتحمل

www.elromancia.com

التوتر. هي لا تريد رؤيتك، اخشى انها لن تتمكن من ذلك...».

«ولكن... لماذا؟ هل علمت...؟».

«انها تعرف كل شيء عن زواجنا. حتى انها اخبرتني ايضاً لأية درجة استغليتماني كلاكما».

«ماذا قالت لك بالتحديد؟» سألها بحذر.

«لا شيء مهم لا اعرفه من قبل... كلمتني عن كرهك لي، وعن نيتها بحرمان جاني من الميراث بسبب خطوبتها من دوغ ماك كومش».

«اعلم بذلك». قاطعها بجفاف.

«اذاً من سيرث؟».

«بعد ان خانها الجميع، ستمنح ميراثها للجمعيات الخيرية...».

«مستحيل، جاني كانت تأمل بـ...».

ايكون لديه احاسيس؟.. يبدو انه يشعر بحنان عميق نحو قريبته. لماذا لا يشعر نحوها هي ببعض هذا الحنان؟.

«كل شيء حصل بسببك! لم يكن يجب عليك ان تأتي ابداً الى هنا!».

«ماذا؟ لو لم ينصحني صديقك جيلبرت بـ...».

«لم يكن يجب عليك الاستماع له! بدونك لما كانت جدتي غيرت وصيتها».

«هذا ليس عادلاً»، صرخت بيأس. انا متأكدة ان اللايدي كانت ستحرمك من الميراث اذا عصيتها! وليس لي دخل في كل هذه القصة. ولا اريد التدخل اكثر

بنزاعاتكم العائلية. كل هذا قاس جداً!».

«ماذا تقصدين؟».

«انا ارمي السلاح، كريغ، ارفض اللعب في هذه المسرحية دقيقة اخرى. اذا سمحت لي بالكلام، سأشرح لك كل هذا السوء التفاهم الذي يفرق بيننا منذ اليوم الأول».

«اتأملين بإيقاعي في فخ جديد؟» سألها بحذر.

«لا يوجد أي فخ، كريغ، كنت دائماً صادقة معك».

صرخت وانهمرت دموعها: «لم يكن في نيتي ابداً عندما اتيت ان احصل على شيء من ميراث لا يعود لي. هدفي الوحيد كان العمل وتغيير افكاري بعد انفصالي عن جيلبرت. عندما هجرني بعد تعرفه على فتاة لندنية غنية، اعتقدت ان العالم كله ينهار حولي. لم اكن اعرف كيف سأخرج من هذا الموقف. لم يكن بامكاني ايضاً البقاء في المستشفى... عندما عرض علي صديقك هذا العمل، لم اشك بشيء، وقبلت بدون تردد. كنت اتفاهم جيداً مع جدتك عندما كانت في المستشفى. ورغبت في اسداء خدمة لها... كنت اجهل ان جيلبرت حذرك، على طريقته وجعلني ابدو مغامرة من طبقة سافلة. وكانت خيبتي اكبر عندما احسست بكرهك لي منذ اليوم الأول، وعندما علمت بخداع جدتك لي ايضاً! انت ايضاً خدعت منذ البداية، وانا لا الومك، ولكن كان بامكانك ان تبحث عن الحقيقة بدل ان تصدق اقوال خطيبي السابق...».

«لا اعتقد انه قادر على ان يكذب علي... اظن انني

اعرفه جيداً... اما انت، فكان يجب عليك ان تبحثي عن وسيلة افضل للدفاع عن نفسك!» قال بحدة ثم ادار ظهره ووقف قرب النافذة.

«هل كنت مستعداً لسماعي عندما حاولت ان اشرح لك لماذا قبلت البروش من جدتك؟».

«لماذا؟».

«لم يعد لهذا اية اهمية» واجهشت بالبكاء.

«لورنا، هل تزوجتني... لأنك كنت تحبينني؟».

«ايصعب تصديق ذلك؟ قلبي صادق وحبي لك انقى من مياه البحيرة الصافية... لا تحكم علي بقسوة، كريغ، ارجوك، انا لا استحق كل هذا».

«لا تبكي يا عزيزتي» قال وهو يمسح دموعها بحنان.

«اشعر بالذنب تجاه حزنك. سأعرف كيف اعوض الوقت الضائع يا حبيبتي...».

نسيا العاصفة التي كانت قد هبت بينهما، واستلما لنغمات الحب التي وجداها اخيراً.

فجأة انتبهت لورنا. هل فقدت عقلها؟ انها على وشك الاستسلام من جديد للرجل الذي يرغب فقط بامتلاك جسدها.

فهو لم يعترف لها بحبه. ومن جديد، كان تصرفه خالياً من الأحساس. شعرت بالعار فجأة وابتعدت عنه.

«توقف!» صرخت غاضبة.

«انت تثير اشمئزازي! لم تصدق اية كلمة مما قلته لك! كل ما يهمك جسدي فقط...».

«بما انك تبدين مقتنعة بنواياي السيئة» قال مهدداً.

«سأريك ماذا يمكنني ان افعل!».

حملها بين ذراعيه ورماها بعنف على السرير. اخذت ترتجف من الخوف واختفى صوتها. لن ينفعها الصراخ ابداً.

«سأعلمك من هو سيدك الوحيد». قال وقد اعماه الغضب، بينما كانت تقاومه بكل قوتها. ثم مزق ثوبها وغمرها بالقبل.

خرج كريغ في اليوم التالي باكراً. وظلت لورنا تتقلب في فراشها محاولة ان تفهم موقف زوجها الفظ منها.

ربما جرحته عندما شكت بأحاسيسه نحوها. لو تركت له ايضاً مجالاً للتفسير لكان بالتأكيد اقل عنفاً.

حاولت ان تغفر له لكنها لم تستطع. فهو رغم رغبته بها، عاملها بدون رحمة. كيف يمكنه ان يحبها اذا لم يكن يحترمها؟.

ارتعشت وهي تتذكر لياليهما القليلة معاً. كيف يمكنها ان تنسى قسوته معها ليلة امس؟. فقط لو اعتذر! كيف ستتمكن من النظر اليه دون ان تشعر بالخجل والخوف؟.

للمرة الثانية، حزمت قرارها: سترحل في نفس اليوم مستغلة غيابه. وعندما تصل الى لندن، ستتصل به ليتمم اجراءات الطلاق.

جمعت حقيبتها وهي مقتنعة انها تتصرف لصالحها. وبعد تردد، خلعت خاتم الزواج ووضعته قرب السرير.

«السيدة... ستتركنا؟» سألها الخادم عندما رأى

حقائبها.

«نعم، جايمس، السيد على علم بالأمر» كذبت عليه كي تتجنب شرح اي شيء له.

«سأذهب الى لندن لقضاء بعض الأيام».

«اذا كان سيدي يعلم... كنت اظن انه...» قال الخادم متلعثماً لكن جرس الباب قطع كلامه ثم اعتذر وفتح الباب.

«اوه آنسة شوفيلد!» قال بدهشة.

«عدت من الخارج؟».

«ايه نعم، يا عزيزي جايمس. شعرت بملل كبير بعيداً عن بلدي وأهلي و.. سيدك» ثم دخلت، ووجدت نفسها وجهاً لوجه امام لورنا.

«اهلاً وسهلاً، آنسة شوفيلد». قالت لورنا بهدوء.

«زوجي ليس هنا حالياً، ولكنه لن يتأخر... اذا كنت ترغبين بانتظاره...».

- ١٤ -

تأملتها الفتاة من رأسها حتى اخمص قدميها، وقلبت شفتيها بسخرية.

«كريغ كلمني عنك». قالت لها بتحد.

«اعلم انه تزوجك من اجل الحفاظ على مصالحه. ولكنه لا يحبك نحن مخطوبان قبل وصولك الى هنا، وبعد طلاقكما سنتزوج... وتعود الأمور الى مجاريها!».

اذاً كل شيء صحيح! كريغ لم يحبها ابداً. والمشين ايضاً ان الجميع يعلمون... ما عداها... اية اهانة هذه! حبست دموعها بينما غريمتها تتلذذ بانتصارها.

«لقد جئت بوقتك، آنسة شوفيلد». قالت لورنا بهدوء.

«كنت على وشك الرحيل. انا اترك لك مكانك... كما ترين، الأمور عادت الى مجاريها».

www.elromancia.com

«عظيم». قالت غريتا شوفيلد ببعض الدهشة.

«انت محقة بعدم الاصرار، لا يمكن لشيء ان يفرق بيني وبين كريغ».

لحسن الحظ وصلت سيارة الأجرة بهذه اللحظة، وحمل السائق حقائبها بينما تمتمت ببعض كلمات الوداع للخادم، وللزائرة الغير مرغوب بها.

شعرت براحة كبيرة وهي تغادر هذا المكان المليء بالذكريات القاتمة.

وصلت الى انمبورغ قبل موعد انطلاق القطار بساعتين. فرغبت بعد اسابيع من العزلة بأن تتمشى في الشوارع.

ومرت امام متجر لبيع التحف المحلية، فدخلته واشترت فولاراً من الصوف وقبعة وقفازين جربتها امام المرآة واعجبت بلون القبعة المتناسب مع شعرها الذهبي المسترسل على كتفيها، فابتسمت بمرارة.

«انت رائعة، آنستي». قالت لها البائعة باعجاب.

«يشرفنا ان ترتدي حسناء مثلك ملابس بلادنا التقليدية».

«انت محقة بافتخارك ببلدك، سيدتي. بلدك جميل جداً... لو تعلمين كم انا حزينة لرحيلي عنه!».

«تقول الاساطير ان من يطأ ارض اسكتلندا، يقع عليه السحر، ويعود اليها بسرعة...».

«هذا صحيح». اجابتها متنهدة. فرغم رأيها بتصرفات زوجها، الا انها وقعت تحت سحره.

اشترت بعض الهدايا لعمتها وعمها، ثم تناولت الغداء في مطعم قريب قبل ان تعود الى محطة القطار، وتودع هذا

البلد الذي تركت فيه قلبها.

«هذا... انت لورنا؟» قالت عمتها وهي تفتح لها الباب بدهشة.

«ولكن... ماذا حصل؟ هل طردت؟».

«هل يمكنني الدخول عمتي؟» سألتها وهي تنظر الى حقائبها.

«بالتأكيد» اجابتها عمتها وساعدتها في ادخال حقائبها واثر الدهشة لا يزال مرسوماً على وجهها.

«لن ابقى طويلاً هذه المرة».

«لا تكوني سخيفة، لورنا». انا وعمك سنأويك قدر ما تشائين» كم تمنت لورنا تصديقها.

«سأشرح لك كل شيء».

روت لها الفتاة ما حصل لها من موقف السيدة لاموند منها وابتزازها لها وموقف حفيدها منها. لكنها لم تلمح الى زواجها ابداً.

«سمعتها عمتها دون ان تقاطعها. ثم طرحت عليها سؤالاً لم تكن لورنا تتوقعه.

«هل رأيت جيلبرت؟».

«لا...».

«اقصد... اترغبين برؤيته؟».

«لماذا تسأليني هذا السؤال؟» سألتها لورنا بدهشة.

«انفصل جيلبرت عن سوزان، وهو من جديد حر كالهواء تلك الفتاة تركته من اجل رجل آخر... انها الحياة!».

«يبدو انه تلقى العقاب الذي يستحقه» قالت لورنا

بسخرية.

«ربما فهم اخيراً مدى المي الذي تسبب به».

«بدون شك يا ابنتي... عندما رأيته...».

«اين التقيت به؟» قاطعتها لورنا بسرعة.

«زارني بعد ظهر احد الأيام، كان يشعر بالندم لأنه تركك و...».

«عمتي، الى اين تريدين الوصول؟».

«جيلبرت لا يزال يحبك. وهو نادم على كل اخطائه الماضية ويريد ان يقدم لك اعتذاره».

«الا تعتقدين، يا عمتي، ان اعتذاره يأتي متأخراً؟ لن اتمكن ابداً من مسامحته على تصرفه معي!».

«مع الوقت، الأمور تنتظم وتتوقف كل الذكريات المؤلمة...».

كيف يمكن لعمتها التي عاشت بحب دائم مع زوجها ان تتكلم هكذا؟.

«هل تقبلين لقاءه، فهذا...».

لا ضرورة لذلك، لقد انتهى كل شيء بيني وبين جيلبرت، للأبد!».

«حسناً» قالت عمتها امام عنادها.

«على كل حال، هذا شيء خاص بك...».

حاولت لورنا ان تفهم افكارها. اهي حقاً سعيدة برؤية ابنة اخيها؟.

«اعتقد انك وعمي هاري اعتدتما على العيش وحدكما من جديد... لهذا السبب، سأبحث عن شقة في المنطقة

فور عثوري على عمل جديد. بانتظار ذلك سأستغل حسن ضيافتكما لبضعة ايام فقط...».

«كما تشائين يا ابنتي، لن نمنعك من ان تعيشي حياتك».

صعدت لورنا الى غرفتها القديمة، اين ذهبت تلك الرسوم الزاهية التي كانت تملأ جدرانها؟ لم يبق سوى غرفة عارية اشبه بغرف الفنادق الباردة.

متى ستمتلك اخيراً مسكناً خاصاً تشعر انه لها وحدها؟ ستبحث عن عمل ومسكن. فهي صغيرة وطموحة. ستقاوم قدرها. وهي متأكدة انها هذه المرة ستخرج منتصرة.

بعد اسبوع واحد، كانت لورنا تنقل اغراضها التي هي عبارة عن ثلاثة حقائب وصندوق الى شقتها الجديدة بمساعدة عمها.

كانت الشقة مؤلفة من ثلاث غرف وهي بحالة جيدة تحتاج فقط لتبديل ورق الجدران، ومفروشة بأثاث بسيط لكن لا ينقصها شيء.

بعد يومين، زارتها عمتها وابدت اعجابها بترتيب المنزل، قدمت لها لورنا الشاي ولاحظت انزعاج عمتها.

«ما بك عمتي؟!!».

«اوه، لا شيء... لكني هذا الصباح. التقيت بجيلبرت في المدينة صدفة. واخبرته بعودتك».

«اوه، لا لم يكن يجب عليك... لا اريد ان اسمع شيئاً عن هذا الرجل، لقد اخبرتك بذلك».

«انا آسفة، لم اكن اعتقد انك جادة... على كل

www.elromancia.com

حال، آجلاً ام عاجلاً ستلتقيان...».

«انت على حق، ولكن...».

«فور عودتك للمستشفى سيراك...».

«لن تطأ قدماي تلك المستشفى طالما هو يعمل فيها...».

«اتملكين مايكفي من المال يا ابنتي».

«نعم، شكراً لك، لقد وفرت بعض المال، فالسيدة لاموند كانت كريمة معي».

«حسناً، سأذهب الآن... ولكن بخصوص جيلبرت، هل قرارك نهائي؟».

- ١٥ -

«عمتي، يجب ان تعرفي بأن الدكتور ميرديت لم يكتفي بتركي فقط. لقد لعب معي دوراً سيئاً قبل رحيلي الى اسكتلندا. هذا امر يطول شرحه. ولكني اريدك ان تعلمي انه بعد الذي فعله معي، لن اتمكن ابداً من احترامه ومسامحته».

رافقت لورنا عمتها حتى الباب ثم جلست على الكنبة وتركت الدموع تسترسل على وجهها. بسبب جيلبرت، هي تعيش وحدها، بدون حب. الجرح الذي سببه له لن يندمل ابداً. كيف يمكن لعمتها ان تطلب منها رؤيته؟.

خلال الايام التالية، اجهدت نفسها في تنظيف وترتيب المنزل ووعدت نفسها ان تجدد الأثاث كله عندما تجد عملاً.

www.elromancia.com

رغم جهودها كانت فكرة واحدة تشغل بالها، بسبب خطيبها السابق فقدت للأبد الرجل الذي احبته اكثر من اي شيء في هذا العالم.

ولم يكن كريغ لاموند قد حاول الاتصال بها ابداً... فكرت ايضاً بجاني. الا تزال تحبها؟ لقد انتهت صداقتهما الصادقة بشكل سخيف.

بالتأكيد كريغ لا يفكر بها فبعد عودة غريتا شوفيلد، بدون شك. نسي تماماً رقة عناقهما، ويواسي نفسه بين ذراعين آخريين...

بهذه الحالة، لماذا لا يتصل بمحاميه في لندن لاتمام اجراءات الطلاق؟.

ربما تكون اللايدي لاموند لا تزال مريضة! هذه الفكرة جعلتها تشعر بتأنيب الضمير لأنها تركتها بمثل هذه الظروف. لن تسامح نفسها ابداً اذا حصل للايدي حادث بسببها. ستكون هذه غلطة مهنية بتخليها عن مريضتها في حالة صعبة كهذه.

لو نطق كريغ بكلمة واحدة لبقيت، او لو افهمها انه كان يحبها، لما ترددت لحظة بالبقاء الى جانب جدته حتى وفاتها.

كانت مستعدة لمسامحته لو علمت انه يبادلها الحب.

لكنه للأسف، لم يقل شيئاً ولم يصدق حبها له.

«ليتني لم اذهب ابداً الى اسكتلندا» قالت لنفسها وهي تتنهد و تعد لنفسها كوباً من الشاي.

«بعد ثلاثة ايام، زارها جيلبرت ميرديت.

«ماذا تريد؟» سألته على الفور، بحذر.

دعيني ادخل، لورنا... يجب ان اكلمك. لقد رأيت عمتك بالأمس...».

«لقد اخبرتها بأنني لا ارغب برؤيتك ابداً. ليس لدينا ما نتكلم عنه» اجابته بجفاف.

«هيا، لورنا. انا اعلم بانك لا تزالين تحبينني لا تحاولي ان تكوني قاسية، دعيني ادخل، لخمسة دقائق فقط...».

«ادخل، سأسمعك. ما الشيء المهم الذي تريد ان تكلمني به».

«منزلك جميل. معاً بامكاننا ان نجعله جنة».

«انه يعجبني هكذا. وبامكاني ان اجعله جنة بدون مساعدة منك».

«اثق بك، يا عزيزتي، فأنت صاحبة ذوق جميل».

«جئت الى هنا لتكلمني عن شقتي وعن ذوقي؟».

«لا، لورنا، كنت اريد ان اعرف... ايه... حسناً...».

«لا، ضرورة للكلام، جيلبرت. افضل ان تخرج فوراً».

«لا، لورنا، ارجوك، اريد الاعتراف بكل شيء! لم يكن يجب علي ان اتركك ترحلين. انت من احب وليس اية امرأة اخرى! منذ رحيلك، وانا لا اكف عن التفكير بك... سوزان ليس لها اية اهمية في حياتي، لم تكن سوى عابرة سبيل...».

«تركتك، اليس كذلك؟ وكبرياؤك لم يتحمل...».

«لا تهمني تلك الفتاة». صرخ متوسلاً.

«سامحيني واقبلي ان تصبحي زوجتي. لن تندمي ابداً، لورنا، سأكون معك اسعد الرجال على الأرض».

واقترب منها محاولاً ان يضمها بين ذراعيه، فابتعدت بسرعة.

كانت ملامح وجهه تخون مشاعره. كان يبدو صادقاً نادماً، لكن كان قد فات الأوان... لم تعد تشعر نحوه سوى بالشفقة واللامبالاة، وهي مستعدة لمسامحته حتى ولو كان السبب في فقدانها لكريغ الذي لا يمكن لأحد غيره ان يمنح حياتها المعنى والأمل.

«لا تلح، جيلبرت، انا لا احبك، اخرج من هنا، ارجوك».

«دعي لي على الأقل فرصة! لقد تغيرت كثيراً، صدقيني سأفعل اي شيء من اجلك. احبك لورنا، احبك!».

كان يصرخ محاولاً بذلك ان يؤثر على لورنا لتستلم له. لكنها بكل حزم، ابتعدت اكثر.

«صدقني، جيلبرت، لا مجال لذلك. انا لا احبك ولا اريدك».

«فكري جيداً يا عزيزتي...» واقترب منها بسرعة وحاول ان يضمها اليه فقاومته بكل قوتها محاولة ابعاد شفتيها عنه.

«توقفي عن المقاومة لورنا، لست بحاجة للتوسل اليك كي تقبليني!!».

«اخرج من هنا، دعني...».

وفجأة توقفت عن الصراخ عندما رأت رجلاً يتجه

نحوهما بخطوات سريعة.

وبسرعة البرق، امسك جيلبرت بعنقه ولكمه على وجهه لكمة رمته على الأرض.

«كريغ!».

لم يلتفت كريغ نحوها، بل انحنى وساعد جيلبرت على النهوض ولكمه من جديد.

«لا اريد ان اراك مرة ثانية برفقة زوجتي!» قال له مهدداً والشرر يتطاير من عيونه.

«زو... زوجتك...» تلعثم جيلبرت وهو لا يزال تحت تأثير الضربة.

«سأجعلك لا تتمنى رؤيتها مرة ثانية». وهم بضربه من جديد، لكن لورنا تدخلت بينهما.

«توقفا!» صرخت بأعلى صوتها «انتما في منزلي، وانا امنعكما من القتال هنا».

اشار كريغ لجيلبرت نحو الباب. لكنه رفض الخروج قبل ان يحصل على توضيحات.

«انت تمزح، كريغ؟».

«انصحك بالخروج حالاً، لست بمزاج يسمح لي الثرثرة».

«لورنا، قولي لي انه يكذب» توصل اليها جيلبرت.

«قولي انك لست زوجته».

«انا آسفة، انه يقول الحقيقة، وانا وكريغ متزوجان منذ شهر تقريباً».

خرج جيلبرت مطأطأ الرأس. ما ان اقفل كريغ الباب

وراءه اسرع الى زوجته وفتح لها ذراعيه.

«تعالي لورنا» قال بهدوء.

بالكاد تصدق اذنيها، يبدو ان زوجها سعيد برؤيتها... ربما جاء ليصطحبها معه الى اسكتلندا؟.

كان قلبها يدق بسرعة بينما هي تسأله: «كريغ... لماذا جئت؟ امن اجل... الطلاق؟».

كانت ترتجف وهي تنتظر جوابه. فنظر الى عينيها ملياً:

«لماذا تتكلمين عن الطلاق؟».

«ولكني... كنت اظن... انك تريد الزواج من غريتا شوفيلد... لقد اكدت لي انك مغرم بها...».

«وانت صدقت هذه المعتوهة؟».

«كنت... كنت مقتنعة انها كانت تقول الحقيقة... انا... كنت... يائسة جداً...».

«لقد كذبت عليك. لا شيء جدي بيني وبينها. والدها كان يتمنى اتحادنا كي تتحد املاكنا ايضاً... لكنني لم احبها ابداً، ارجوك صدقيني يا عزيزتي».

حاولت ان تفهم تبدل موقفه هذا.

«لماذا جئت كريغ؟».

«كان يجب ان اكلمك. لقد كنت سافلاً معك صدقت اكاذيب جيلبرت بشأنك الى ان شرحت انت لي كذبه المشين. كنت قد ارهقتك بالأحتقار، انت لا تلامين على شيء... كيف امكنني ان اكون فظاً معك؟ الآن، اعلم كل شيء. جدتي شرحت لي قصة البروش والظروف التي دفعتك لقبوله كي لا تتخلفين عن موعدك معي».

ثم قبل زوجته وداعب خدها بحنان.

«لماذا هذا الصمت، لورنا؟ لابد انك تعذبت كثيراً...».

«كنت... اخاف كثيراً منك...» فضمها بحنان الى صدره وداعب شعرها.

«تخافين مني؟ يا الهي اي مسخ كنت عليه لاخيفك لهذه الدرجة؟ لن اغفر لنفسي ابداً تصرفي الأناني معك!».

«كنت اظن ايضاً انك لم تكن تحبني، وانك تزوجتني فقط لتستخدمني ضد جدتك».

للحقيقة، عند وصولك الى لوشارين، قررت ان امنعك من الحصول على اي فلس من ميراث جاني...».

«لم يكن المال ابداً يهمني» ورغبت في العودة الى ذراعيه، لكنها لم تجرؤ. فوجدت عذراً ودخلت المطبخ لتعد له القهوة.

«وعندما عادت، ادركت انها لشدة ارتباكها برؤيته، لم تسأله عن اخبار اللايدي لاموند.

«هل شفيت جدتك؟» سألته وهي تناوله القهوة.

«اكتأب وجه كريغ فجأة امام سؤالها.

«هل ما...؟».

«لا، اطمئني... لكن اثناء وعكتها الأخيرة لم ينفع تدخل الطبيب ولم يكن كافياً...».

«تكلم كريغ، ماذا حصل لها؟».

«منذ اسبوع نقلناها الى المستشفى ليعالجها نفس الاختصاصي الذي عالجها في السابق. وهذا الأخير اجرى

لها عملية دقيقة وهي تغيب فترات طويلة عن الوعي . . .».

«ايسمح الطبيب بزيارتها؟ يسعدني كثيراً ان اراها، لقد كنت قاسية معها . . .».

«ضمها كريغ بحنان الى صدره.

«لورنا، عزيزتي، لا شيء تلامين عليه. كنت صبورة وطيبة طوال مدة اقامتك معها. تحملت كل هفواتها. وتحملت موقفي المستبد منك دون ان تتمكني من الدفاع عن نفسك. ومع ذلك، لا تحتفظين بأي حقد ومرارة».

«كريغ . . . اصطحبني الى المستشفى . . . يجب ان اراها».

بعد نصف ساعة، كانا يدخلان غرفة المرأة العجوز، ترقرقت الدموع في عيني لورنا عندما رأت اللايدي ممددة على سريرها كجثة هادئة. كانت شاحبة، ويداها العاريتان ممددتان الى جانبها. يمكن رؤية كل شريان تحت جلدها المجعد. والآلات والأنابيب تكاد تخفيها.

«سيدة لاموند»، قالت لها لورنا بهدوء: «انا لورنا، لورنا ودروي، ممرضتك . . .».

فتحت اللايدي العجوز عيونها بصعوبة، وابتسمت ابتسامة ضعيفة وحركت شفتيها.

«لا تتكلمي، سيدتي . . .» قالت لها لورنا وهي تتلمس يدها.

كنت . . كنت اعلم انك . . . ستأتين» قالت اللايدي بجهد كبير.

«ستشفين قريباً وستعودين الى منزلك».

لاحظت لورنا على وجه العجوز اشراقة سعادة كبيرة. شيئاً فشيئاً، تبدلت ملامحها وحاولت تلمس يد لورنا. وما ان امسكتها بيدها حتى شدت عليها بكل قوتها وغرزت اظافرها في جلد الفتاة.

«الوداع لورنا سامحيني».

اقترب كريغ وداعب شعر جدته الأبيض. دمعت عيونه وهو يشهد على وفاتها البطيء.

فجأة، توقفت اصابعها النحيفة عن الضغط على يد لورنا. واشارت شاشة مخطط القلب الكهربائي الى توقف القلب بخط مستقيم.

لقد توفيت اللايدي لاموند مع ابتسامة على ثغرها الشاحب . .

بعد اسبوع، عادت لورنا الى اسكتلندا. وكالمرة السابقة كان كريغ ينتظرها في محطة القطار . .

«اهذا صحيح، لورنا، انت سامحتني بعد كل الأذى الذي تسببت لك به . . .».

انه من الماضي كريغ، لن نتكلم بهذا ابداً، اتعدني بذلك؟».

بسرعة ضمها كريغ الى صدره، وبحث عن شفتيها، شعرت لورنا بقلبها يطير من الفرح.

«اوه كريغ، انه اسعد ايام حياتي!».

بادلته قبلة حارة ضمنها كريغ كل حبه.

«هل رأيت جاني؟ لابد انها تشعر بالخيبة لحرمانها من الميراث. انها لا تستحق ذلك».

«لا تقلقي يا حبيبتي، سأساعدها بشكل لن تحتاج معه أي شيء».

«لحسن الحظ»، قالت وهي ترمي نفسها من جديد بين راعيه.

«جاني تملك شيئاً اساسياً... لا يمكن ان تكون تعيسة مع الرجل الذي تحبه، اليس كذلك، كريغ؟».

«نعم لورنا، انت محقة لا يمكن لأية ثروة في العالم أن تحل محل الحب.

في اليوم التالي لوصولها، وصلت رسالة زادت من سعادتهما.

فقبل ايام من وفات اللايدي كانت قد عدلت وصيتها قسمتها بالتساوي بين لورنا وحفيديها.

«اولادي الاعزاء».

«عندما تقرأون هذه الرسالة، سأكون بعيدة جداً عنكم. لقد جعلتكم تتعذبون في حياتي، واتوسل اليكم كي تسامحوني. الآن انا سعيدة لأنني اخيراً اصبحت بجانب ابنتي الحبيبة.

اعلم كم كان موقفي غير عادل، ولكن والدة كريغ كانت دائماً ابنتي المفضلة... لم اتمكن من نسيانها رغم السنين الطويلة.

فقط وجود لورنا كان يواسيني. كانت تشبه فرجينيا كثيراً.

اتمنى ان تسامحني وتبقى وفية وفخورة باسم لاموند. ولتسامح جاني ووالدتها عجوزاً مجنونة كانت قد نسيت منذ

مدة طويلة انه لا يمكن لأية قوة ان تفرق بين الأحباب».

www.elromancia.com